رواية
لو أنني عاندت
آلاء حسين الجمل

1

"حلا"

عاماً كئيباً مليئاً بالخذلان، هكذا كُنت أتحدث بصمتي داخل عقلي التي أنهكته الكثير من المُحاولات، مُحاولات في تخطي صِعاب لم أكبر كفاية لتحملها ولكن في النهاية كُنت أُعاند وأبتسم في وجه المُستحيل، وأخبره بأنه سيصبح مُمكناً يوماً ما...

لا اعلم إن كان هذا يُغضبه أكثر فيزيد من يأسي أم ماذا؟

هذا العام لم يترك لي ذكري واحدة تجعلني أنوى الاحتفال بعيد ميلادي الرابع والعشرين

كفتاة من أم روسية ولدت في مصر فماتت والدتها ولم يتخلي عنها والدها حتى أجبره الموت علي التخلي...لن أدعي أنني مَحظوظة مُطلقاً، ولن أُصدق حديثك اللطيف اللزج بأنني اللطف وأجمل ما رأيت، ما دُمت لا تعلم كم أنا مُهشمة من الداخل، وما دمت لا تشتم رائحة الخراب الذي ينبضُ بين أضلعي لا تتحدث عن الجمال، أنا لستُ جميلة من الداخل...إذاً لا حاجة للجمال الخارجي...هذا ليس إلا مُدخرات أمي التي ورثتها لي بعد مماتها منذ ليلتي الأولي في هذه الحياة.

عقارب ساعتي لم تتركني وحيدة تلك الليلة، كان لصوتها ونس يُشعرني بأن هُناك من يسكن هذه الشقة الواسعة غيري...بالفعل هُناك، أنه كلبي شارو، نائم أمام المطبخ لا تبحث عنه داخل غُرفة الصالون التي أستلقي علي أرضها الآن، أنا أعيش في تلك الشقة مع شارو والكمان الخاص بي فقط، هم عائلتي...

لا ليس هم فقط هُناك أيضاً أمنية، تلك الصديقة التي يتحدث الجميع عنها دائماً في الأساطير، ومواقع التواصل الاجتماعي، المثال الوفي والأبله في

آن واحد، قلبها النقي وروحها المرحة، وحضنها الدافئ، وتواجدها الدائم هما مثال يقتضي به الناس ودائماً ما أري الكثيرون يتحدثون عن تلك الصفات؛ مُتمنين مثلها في حياتهم فأبتسم؛ لأن هي النعمة التي أنعم علي بها الله رغم كل شيءٍ سيء حدث لي علي مدار حياتي...

أمنية وحيدة أبواها مثلي، تخلي عنها الدفيء العائلي بعد انفصال والداها واختيار كلٍ منهما لحياته الخاصة فاختارت أمنية حياتها بجواري، تركنا منازلنا وقمنا بالمعيشة في مدينة لا يهم أسمها فالمهم فيها الهدوء والراحة وأن لدينا المال الذي يسمح لنا بالمعيشة هنا...كما أنه لن يتحدث فيها أحدهم عن كيفية معيشة عازبتين في شقتين وحدهما دون وجود عائلة لأي منهن؟

لا تصدق أن المال لا يشتري السعادة، أنت دائماً تعيس فلتبتئس وأنت أسفل أيدي أخصائية مساج وتستمع لdean marten أفضل...

ولكن أيضاً السماء لا تُمطر أموالاً كل شتاء، بل أن جبينك يجب أن يسيل عرقه اجتهاداً كي تستحق، أنا أعمل منذ الخامسة عشر حتى أتمكن الآن من أن أحظي بمكتب كبير يرتجف الجميع قبل دخوله، كما أن أسم كأمنية الجبالي في جريدة (رؤية مُعاصرة) يجعل الصفحات الأولي من الجريدة مُهماً للجميع مع أول ساعات الصباح، فهي صحافية لا تخلوا مقالاتها من حقائق تسطرها بدقة احترافية تجعلك مبهوراً بمعلوماتها...حتى انا إلي الآن لا اعلم أي مصادر تلك التي تأتي منها بمعلوماتها..

استيقظت أمنية من نومها وسمعت خطواتها الناعسة قادمة نحوي، كعادتها لن تتغير منذ مَعيشتنا في شقتين مُتجاورتين، ليلة عيد ميلادي تكون حفلة مبيت في أحدي الشقتين وهذه المرة كانت إجبارية...فأنا اليوم مُحبطة، ولن يحمل همومي عني أفضل من أرضية غُرفة الصالون الخاصة بي

- أنتي لسه علي نفس وضعك من ساعة ما سيبتك من ساعتين ونمت؟

قلتُ لها بثقل وأنا أتابع حركة الغيوم والتفافها حول القمر من فوق وسادتي التي تستند عليها رأسي، موجهة بصري إلي الشُرفة المفتوحة علي مصراعيها وأنا ممددة أمامها أنظر للسماء من بعيد..

-تعرفي أني صدقت جدا الناس اللي بتقولي أنتي قمر دي!

جلست أمام رأسي وبدأت تُمرر أناملها داخل خُصلات شعري برفق، لطالما أحببتُ تلك الحركة وخففت عني كثير من القلق والليالي الصعبة، قالت بمزاح:

- الغرور عايز منك إيه بس؟

أغمضتُ عيني وأنا أستمتع بهدوء تسلل إلي من أثر لمساتها لشعري، كأنها تمتص بأصابعها أفكار حُنطت داخل رأسي لتكون رمزاً للسلبية، وقلت:

- أنا بتكلم جد، مش غرور..القمر دايماً شكله حلو وكلنا بنحب نبصله، بيان جميل وهدوءه غامض بيشدنا، لمعانه مُحبب لروحنا لدرجة أننا بنكتب فيه قصايد...بس لما تُتاح لينا فُرصة نشوفه عن قرب بنلاقي أنه مُجرد شيء صلب، فارغ مافهوش حياة...بل وكمان مُعتم....

اعتدلتُ وجلست أمامها فانسدل شعري علي كتفاي وأنا أقول:

-أهو أنا كده بالظبط، كلهم بيحبوا يقربولي عشان أنا جميلة، عشان قوية، و ذكية وروحي حلوة وكمان موهوبة وبالنسبة ليهم بنور.. بس لما بيقربوا مني بجد ويكتشفوا أني إنسانة وبضعف، وبزعل أعيط بالساعات، وذكرياتي أغلبها سيء، وكمان عنادية وطفلة.. بيمشوا...

كانت تُتابع حديثي بصمت ولكن ملامح الآسي علي وجهها تُحادثني نيابةً عنها، فأكملت:

-حتى أخر واحد حاول يقرب ودي كانت أخر مُحاولة ليا أتعشم فيها أني ممكن أتحب زي ما أنا بتمني...كان عايز يدفن غيرتي لما أشوفه مع السياح اللي بيرشدهم بيحضن ويبوس عادي!!

ولما اعترضت يقولي كفاية أني متحمل نكدك وعياطك، وأني موافق أنك تشتغلي أصلا، مادام أختارتي حياتك تبقي أزاي وأنا أتنازلت ...أتنازلي.

كان عايزني أتنازل عن غيرتي، وأنا فعلا تنازلت.

- بس أنتي رميتي له دبلته مش تنازلتي عن الغيرة يا حلا!!

-- واللي يتنازل عن غيرته يبقي يبطل يحب يا أمنية..وأنا بطلت أحب يوم ما أتخليت عن الغيرة.

قلتُ أخر جُملة وأنا أبتلع دموعي التي اعتصرت حلقي مرارتها، تعجبتُ من رد فعلها وهي تهم واقفة وتمد يدها إلي تدعوني للوقوف، سألتها بنظرتي لماذا؟ حتى أجابت بصوتها

-قومي جهزي شنطتك هنحتفل علي البحر

****

-.بحر إيه يا أسامة مش هخرج أنا سيبني أنام.

قال جُملته بغضب وهو يُعيد الغطاء بيده ليخفي أسفله كامل جسده..أو ربما يخفي حُزنه!

قام أُسامة بإزالة الغطاء من فوق جسد مصطفي بالكامل وألقاه أرضاً وهو يَصيح بفارس شقيق مصطفي الذي يتذمر عليهم الآن ويقذفهم بكلمات غاضبة

- تعالي يا فاارس شيل معايا أخوك ندخله الحمام عشان يجهز للرحلاااه..

دخل شاب عشريني قوي البنية، ذا بشرة خمرية وعينان عسليتان يمتزج بريقهم باللون الأخضر، شعره أسود كلحيته، يرتدي شوورت قصير وردي، به رسومات بط أصفر مُبتسم ، وتيشرت أبيض ذا حمالتين رياضيتين، ويحمل أسفل ذراعه عوامة تُشبه طائر الفلامنجو، عندما رآه شقيقه مصطفي هدأ وصمت ناظراً له دون أي تعبير غير الصدمة

جلس علي السرير ينظر لفارس بهيئته الطفولية ثم عاود النظر لأسامة فوجده يخلع قميصه ليظهر من أسفلة سولوبيت أحمر وتيشرت ابيض أسفلها كان أشبه إلي ميكي ماوس، تساءل مصطفي بعدم فهم:

- هو أنا مش هعرف أكتئب من غير تفاهتكم ما تيجي تصدم حزني؟

قال فارس وضحك بعدها بقوة:

- سعاد حزني هخه.

نظر له بنفاذ طاقة وسأل:

-أنت عايز إيه أنت وعم بطوط اللي واقف ده دلوقتي؟

قال أسامة:

-أولاً اسمها ميكي ماوس لما تحب تهزقني تهزقني صح، ثانياً عايزين أنك تقوم تلبس عشان هنروح يومين مصيف نفك.

قال مصطفي:

-قلتلكم مش رايح في حته روحوا انتوا.

قال فارس وهو يقذفه بالعوامة التي بيده:

بطل عند يالا أنت وقوم ألبس مافيش نقاش جتك قرف عيل كئيب.

--عيل كئيب أنا صح؟

قال فارس بثقة:
-أه.

نظر مصطفي لأسامة فأشار اليه بوجهه وهو يقول:
-أوي أوي.

نهض من فراشه يركض خلفهما في أنحاء الشقة مُحاولاً أن يلحق بهما ويوسعهما ضرباً.

****

"حلا"

قالت أمنية بعد كثيرٌ من التوسل:

-يا حلا بطلي عند بقي وقومي البسي عشان خاطري، أنا بالفعل محتاجة أقضي اليومين دول معاكي.

نظرتُ لها طويلاً أحاول ترتيب أفكاري ولكن إصرار نظرتها جعلني أنهض وأتوجه بصمت إلي غُرفتي أحضر حقيبتي وابدأ في ترتيبها، قلتُ لها وهي تقفز من السعادة:

-هتعزميني علي قهوة وأنا مش هسوق طول الطريق.

كانت سعادتها بموافقتي كفيلة بأن تُزيل عبوس مزاجي، أعدت معي الحقائب وأخذنا الليل نتأهب للرحيل، صلينا الفجر جماعة بغُرفتي ثم أنزلنا الحقائب للسيارة، لم تنسي كماني والبن الخاص بي..كالعادة لا تنسي تفاصيل تسعدني وجودها، كانت أيضاً تعلم ما أغانيا المُفضلة فاختارت منهم أحلاهم و أصخبهم، زادت من سُرعة السيارة وأطلقت العنان لصوت

الكاسيت فكان صوته أعلي من صوت كركبة أفكاري فبدأت في الاندماج، أخذنا نُغني بصوت عالي ونتمايل مع الموسيقي، بمرور الوقت يحل الصباح وتزداد نشوتي ببرودة نسيمه وصوت الأغاني الذي يفصلني عن يأس كرهت تفاصيله، لم يكف قلبي عن غصة الألم الذي تنبض داخله حُزناً ولكن يكفي أنني علي الأقل استطعت أن أتناسها لدقائق

في لحظة ما أذكرها جيداً سمعت لحن أعرفه جيداً، كلمات تنبع من قلبي عندما أستمع إليها، نبض قلبي بقوة كطفل تعلق بلعبته وأعادها له شخص ما عندما فقدها، أخذت أستمع للكلمات التي أحفظها عن ظهر قلب وأنا مُستندة برأسي علي ذراعي النائم علي حافة شباك السيارة، رأسي خارج السيارة وأذني مُتعلقة بما تسمعه داخلها، قلبي يحلق بعيداً مثل شعري الذي تجعله يطير نسمات الهواء

كنت أردد مع الأغنية داخل رأسي

I need you, I need you, I need you right now*

Yeah, I need you right now

So don't let me, don't let me, don't let me down

I think I'm losing my mind now

It's in my head, darling I hope

That you'll be here, when I need you the most

So don't let me, don't let me, don't let me down

*D-Don't let me down

كنتُ في حالة من الاستمتاع والممزوج برغبة في البكاء، كان داخلي يصرخ مع كلمات الأغنية، أنا حقاً أعتقد أنني سأفقد عقلي الآن..أشعر

بالخذلان، أشعر بأن الحظ العسر وحده من أحبني في تلك الحياة، في هذه اللحظة لمحت شيئاً علي الطريق أربكني، ركضت السيارة التي مرت بجوارنا بسرعة أكبر منا ولاحقتها ببصري بتعجب وقلق حتى ابتعدت عنا تماماً، عدتُ داخل السيارة بانزعاج، خفضت صوت الكاست فتساءلت أمنية:

-في إيه؟

-- في عربية عدت من جنبنا بسرعة أعتقد حد فيهم كان بيصور الطريق وأنا ظهرت في الكاميرة...

2

وقف كلاً من فارس وأسامة أمام السيارة مُنتظرين مصطفي، أسامة يُقلب في شاشة هاتفه مللاً، وفارس يرتدي سماعة الرأس الخاصة به ويُحرك رأسه مع إيقاع الموسيقي التي لا يسمعها غيره، قال أسامة:

-يا بني ما تشوف أخوك مانزلش كل ده ليه؟

لم يسمعه فصرخ به وهو يلكزه في ذراعه، نظر له فارس بغضب وأنزل السماعة من علي أذنيه قائلاً:

-إيه يا عم أنت أم العنف ده، في إيه؟

أتاهما صوت مصطفي من أمام المنزل وهو يتساءل:

-إيه مالكم بتزعقوا ليه؟

نظرا له ثم نظرا لبعضهما البعض، قال فارس:

- بس إيه رأيك فيه يا أسامة وهو أعقل ما فينا وبيتريق علي لبسنا وهو شاري الشوورت بتاعه من قاع الهامور أصلاً؟

انفجرا الاثنان في الضحك علي مظهره، واقفاً بشوورت مليء بصور لأشخاص الرسوم المُتحركة(سبونج بوب) وتيشرت أصفر به ابتسامة

اسبونج، بعد مُزاح وضحكات تخرج منه بثقل هموم كثُرَت بكثرة مُحاولاته الفانية، توجهوا للسيارة، أتخذ فارس الكُرسي يمرح فيه مع أكياس الشيبسي العملاقة وزجاجة البيبسي المفضل له، في حين أن تمدد مصطفي علي الأريكة يُحاول إعادة النوم الذي سلباه منه منذ ساعتين، ولكن لن يفوت أسامة تلك اللحظة ليفسدها عليه، كان يقود بسرعته المجنونة التي يفضلها في مثل هذه الأجواء الفجرية، قام بتشغيل الكاست علي أحدي المهرجنات الشعبية وكاد الصوت يحمل السيارة ويركض من قوته، حاول الأخ والصديق دمجه في الأجواء ولكن...

****

"مصطفي"

لم أكن في الحالة التي تجعلني أقبل بأي شيء، لكني لا استطيع أن أخذل مُحاولات هذان الأبلهان لإسعادي، هما يُقاتلان دائماً لأجلي فلما أذيقهما طعم الخذلان؟، إن كان تواجدي معهما سيسعدهما ويكفوا عن التفكير في طريقة لانتشالي من اليأس، فلهم ذلك...

أسامة صديقنا منذ الطفولة، هذا الصديق الذي تنعته بالغبي بعدما يُضحي بسفريه كان يحلم بها سنين لمُجرد أنك كنت تلعب الكرة وكُسرَ أصبعك الصغير، فلن يتركك تتألم وحدك عندما يعلم وسيترك الطائرة تُحقق حُلمه نيابةً عنه، هذا الصديق الذي تخلي عنك جميع أصدقاء مراحل حياتك، وظل هو يأكل الفشار وأنت تُحدثه بكل آسي عن جروحك العميقة من رحيل الباقيين، وبعد أن تُفرغ ما بجعبتك من شكوى، وتبكي أمامه، يُعطيك طبق الفشار وتتشاركان فيه أمام فلم رسوم مُتحركة جديد

أما فارس، فهو عمودي الفقري، بدون مُبالغة رغم تفاهته الدائمة أنا لا أخذ قرار دون مشورته كي لا أعمل بها وأتخذ عكسها...هذا الشقيق المُزعج صاحب المقالب والنكات التي تضحكه وحده...

سجل تاريخ حياتي ضحكات من القلب بسببه فقط، رافقني جميع فترات حياتي ونفعل كل شيء سوياً رُغم إخلاف شخصياتنا، إلا أن التناسب والتآلف يدوم بيننا، كُنت أتأملهم بهدوء وهم يتراقصون داخل السيارة علي أغانيهم المجنونة الصاخبة، نظرت خارج السيارة فوجدت أن الصباح يُرحب بنا بنسيمه البارد فأخذت أتأمل الطريق بصمت، بعد دقائق سمعت لحن أغنيتي المُفضلة مما جعلني أنظر لهما لأجد أسامة يبتسم إلي من المرآة، وفارس يمد إلي يده بها قطعة مني تؤلمني قائلاً:

- نسيتها فجبتهالك معايا، خد صور بيها الطريق زي ما بتعمل دايماً.

أخذتُ أنظر لها بعتاب رُغم أن لم يكن لها يد فيما يحدث، أنا لم أنسي أخذها كما أفعل عندما أذهب لأي مكان فهي تُلازمني كقطعة مني ليست مُجرد كاميرة، فهي شغفي وأحلامي التائهة دون مرسي، أنا من أراد تركها هذه المرة، أنا من تخلي عنها وعن حُلم كثيراً ما قاتلنا لأجله سوياً أنا وهي، لم تمل مني ولم تكل المُحاولات ولكن أنا من فعل....

قاربتها إلي صدري وأحاول التفكير، لكن لاشيء داخل عقلي...ألم قلبي يجعل تفكيري مشوش، أطفأ فارس الأغنية ووضع أخري كأنه يُحاول إعادة مصطفي من داخلي من جديد..

• *تقدر تعمل كل حاجة، ولا يهمك، كل اللي بتحلم بيه تقدر عليه، هيوقفوك، هيحاولوا ييئسوك ويحبطوك ويكسروك، خليك دايماً جامد،

جرب، حاول، عاند...هيقطموك، وتملي يفشلوك ويبكتوك ويزهقوك، وما تزعلش ده عادي، كله كلام علي الفاضي...*

أستمع لكلمات الأغنية بضعف، يجب أن تُحفزني كما يعتقدون، ولكن تُمزقني بالكامل ولا يدركون، لقد حاولتُ مراراً وتكراراً، أؤمن بقدراتي، لكن هذه المرة كان الوضع قاسياً، يئست حتى رنت في أذني جملة من الأغنية

شوف الجايات وأنسي الرايحات حبة طموح وهتعمل مُعجزات

ابتسمت، لا أعلم لما تلك الجُملة خصيصاً التي لمستني؟ وجدتني التقط أولي صوري لهذا اليوم بعدها، طوال الطريق انشغلت بتصوير تفاصيل كثيرة به، أحاول إعادة شغفي للتصوير لكن لا روح لأي صورة التقطها، سَئمت المُحاولات حتى أتت هذه اللحظة التي نبض قلبي بقوة، وارتجفت أضلُعي بطاقة ساحرة أثنائها

أثناء مرورنا كانت هناك سيارة تسير بنفس الاتجاه، في ثوانٍ بسيطة قبل أن نمر بها لمحتُ فتاةٌ شقراء تُخرج رأسها من الشباك، التقطت عدسة كاميرتي تفاصيل مشاعرها التي نطقت بها هيئتها وملامحها، وتتحدث نظرتها عن غرقها بسفينة أفكارها داخل فيضان كلمات الأغنية الأجنبية التي تستمع إليها ويصرخ بلحنها كاست سيارتها، كانت ثوانٍ تحمل معها مُغامرة لم يعيشها غيري الآن، كانت أنفاسي سريعة ساخنة

ألقيت نظرة داخل سيارتنا بعدما ابتعدنا عن سيارة الفتاة لأتأكد أنهم لم يلحظان ما فعلت، كطفل خطف قطعة بطاطس مُحمرة عندما تسلل للمطبخ دون أن تراه أمه، تأكدت أنهما لم يراني عندما وجدتُ أسامه يتحدث إلي خطيبته علي الهاتف، وفارس ذاهباً في رحلته الخاصة مع نوم عميق...

عُدت بارتباكي لصورة الفتاة أتأملها وأستطيع سماع نبضات قلبي قبل أن أشعر بها، كانت جميلة لحد يُربكني بشدة، نظرتها بها خليط من المشاعر الحزينة، والمتوسلة رُغم قوة نظرتها، شعرتُ باستمتاعها بالأجواء بجانب هذه النظرة، ابتسمت وعاد إلي الحماس بعدما نضجت بعقلي فكرة جديدة، بأمل زُرع داخلي تواً....

****

"أمنية"

طفلتي، كالطفلة بالفعل كانت نائمة عندما وصلنا للشاليه، تأملت حُزن ملامحها النائمة لدقائق كنت أشعر بأسوأ شعور ينتاب أحدهم، العجز...هذه المرة أعترف بعجزي الكامل عن إخراجها من حالة الاكتئاب التي دخلت بها، لو أني أستطيع أن أهبها قطعة من قلبي تشعر بها بدلاً من قلبها المُمزق لفعلت، لو كان بوسعي تقاسم الهم معها لحملته بأكمله عنها..ولكن ما بيدي حيلة غير مُساندتها ومُحاولة التخفيف عنها.

أيقظتها برفق وترجلنا من السيارة، ذهبت لأتفق مع مالك الشاليه عن مُدة إقامتنا وعندما عُدت إليها وجدتها واقفة أمام السيارة حاملة حقيبة الطعام وبيدها سندوتش تلتهمه، ترتدي قُبعتها الكبيرة وحول ذراعها مُعلقة عوامتها التي علي شكل أناناس، ضحكت علي مظهرها بما يكفي

-وربنا لو واخدة بنت أختي مش هتعمل كده، إيه يا حلا اللي عملاه في نفسك ده؟

قالت والطعام يملأ فمها:

-يللا عشان نلحق نروح البحر.

-بحب فيكي ثباتك علي مبدأك، فعلاً واضح أنك مش حابه تروحي مصيف جداً.

ضحكنا سوياً وبعدما نقلنا الحقائب إلي الشاليه، حملت عوامتها وحقيبة الطعام وظلت تركض إلي الشاطئ وأنا خلفها وهي تصيح

-بحررررررررررر يا أمنياااااااه.

كنت أعلم منذ اللحظة الأولي أن تلك الفكرة ستسعدها رُغم عنادها، أُدرك عشقها للبحر وهواءه العليل وصوت أمواجه التي ترتطم بيأسها فتفتته، استمتعنا خلال اليوم كثيراً، أعلم كم جاهدت هي في ترك أحزانها هذا اليوم جانباً، التقطنا لأنفسنا الكثير من الصور، أكلت هي بكثرة..كما هي منذ عاهدتها عندما تحزن بشدة تأكل بشراهة، ركضنا، لعبنا، استمعنا إلي الموسيقي، وقبل الغروب أمسكت الكمان الخاص بها ونظرت للسماء البرتقالية والتي ينير انعكاس ضوئها مياه البحر أمامنا.

بفستانها الأخضر صاحب زهور التوليب، وشعرها المُحلق حولها، بدأت في العزف، مقطوعة لا أعرف عازفها الأصلي، چل ما أعرفه هو أن قلبي يختلج مع عزفها، كان اللحن مُفعماً بالعتاب، كانت أوتار الكمان تتوعد لمن أحزن عازفته، انتهت حلا من العزف ولم تنظر إلي كي لا أقرأ ما تبكيه عيناها، التفت علي صوت تصفيق مجموعة من الناس التفوا حولنا دون أن ننتبه لهم

أعجبهم العزف بشدة، مدحهم وسعادتهم بعزفها أنسوها ما كان يؤلمها من لحظات وهذا ما يهم، عندما حل الليل توجهنا للشاليه، تركت حلا ودخلت لأستحم وأنا أشعر بإرهاقٍ شديد، قد كان يوماً طويلاً مُجهداً إلي حد كبير،

عندما خرجت من الحمام سمعت صوت حلا تتألم داخل الغُرفة، هرولت إليها وأنا أتساءل عما بها برعب، كانت مُمدة علي السرير واضعة كلتا يديها علي بطنها وتتألم:

-بطني، بطني بتوجعني أووي يا أمنية مش قادرة.

--يا ربناا، قلتلك يا حلا العك اللي بتعكيه في الأكل ده هيتعبك ما صدقتنيش.

-مش وقته يا أمنية، أتصرفييي

--خلاص حاضر أهدي بس وأنا هنزل أجبلك دوا من الصيدلية.

في الصيدلية وأنا أنتظر أن يُحضر الطبيب الصيدلي الدواء وأتحدث إلي حلا في الهاتف، دخل أحدهم وقف بجواري

- حاضر يا حبيبتي هجيبلك آيس كريم وأنا جاية مع الدوا...خلاص والله دقيقتين وأكون عندك.

نظرتُ له تلقائياً وأنا أُغلق الهاتف وأضعه في حقيبتي فأسر قلبي بتلقائيته، عندما التقت عيناي بعينيه ابتسم قائلاً بصوت سمعته (الله)، شعرتُ بخجل وعدتُ ببصري إلي الطبيب الذي عاد حاملاً شريطين من البرشام، لم أستطع التركيز في استخدامهما الذي يقوله لي، فقد كانت ملامح تلك الوسيم الذي أخجلني ومازالت نظرته التي أشعر بها تُربكني، وضعتُ مفاتيح سيارتي علي اللوح الزجاجي الذي أمامي وأخرجتُ محفظتي من الحقيبة وأخذتُ منها المبلغ المطلوب بيدٍ مُرتجفة ووجه خجول، ثم أخذتُ الدواء

بعدما دفعت المال وخرجتُ مُسرعة من المكان، لم تفوت إلا لحظات حتى سمعت صوتاً يناديني:

-يا مدام، يا مدام.

التفت بغضب عندما كنت أريد أن أوسع ذلك الوقح الذي لقبني بالمدام، ولكنني صُدمت عندما وجدته هو ذلك الوسيم بابتسامته، قلت له بعصبية:

-مدام أزاي مش فاهماك الحقيقة!

لاحظت ارتباكه وهو يعتذر قائلاً:

-أنا أسف أصل فكرت اللي كنتي بتكلميها في التليفون بنتك.

ضحكت كما لو أنني لم أضحك من قبل، كما جعلني أكتشف بي أنثي تحمر وجنتيها خجلاً لم أراها في من قبل حينما قال للمرة الثانية(الله)

صمتت وأنا أحاول إخفاء خجلي، ثم سألته:

- حضرتك كنت بتناديلي ليه؟

مد يده إلي بشيء لمع في عيناي بريقه لأدرك أنها مفاتيحي التي نسيتها وهو يقول:

-طب هي مش بنتك، وممكن تكون أختك..بس أنتي ضحكتي ليه بقي؟

أخذت المفاتيح من يده وأنا أجيبه، ولا أعلم كيف لم أحطم أسنانه كأي شخص يحاول المغازلة وبدلاً من ذلك أخطوا معه إلي الطريق الذي يقع فيه الشاليه وأجيبه:

- هي مش بنتي هي صاحبتي، بس تقدر تقول عليها بنتي عادي.

توقفنا أمام الطريق فأخبرني بأنه سعيدٌ بهذا اللقاء ورحل من الطريق المُعاكس لطريقي، وأنا لم أنطق بكلمة أخري فقط ابتسمت، فإن كنت تفوهت في هذه اللحظة بكلمة أخري ستكون أُحبك.

****

كان مصطفي يجلس داخل الغُرفة بالشاليه يستمع إلي حمزة نمرة، من يستطيع في كل لحظة يأس أن يقذف بقلبه خارج كومة الإحباط تلك، تستطيع من بعيد قراءة توتره، وحماسه وأهمية ما يفعله من خلال تركيزه في شاشة اللاب توب الخاص به، أمسك بالكاميرة وأخذ ينظر لصورة الفتاة طويلاً كأنه يتحدث إليها بنظرته، أغلق الكاميرة وعاد بتركيزه إلي اللاب توب، فتح ال gmail الخاص به، كتب أسمٌ ما في خانة إرسال رسالة جديدة، قام بتحميل الصورة ومعها ملف pdf مكتوب باللغة الإنجليزية وضغط إرسال...

أغلق اللاب توب وخرج للشُرفة، استند للسور الحديدي مُبتسماً، تنهد بقوة ونظر إلي أسامة الذي يدعوه لمشاركته لعب الشطرنج، جلس أمامه وأخذا

يستعدان للعب حتى دخل عليهما فارس يتصبب عرقاً، لاهثاً ومُرتبكاً فأرعبهما مظهره، سأله مصطفي وهو ينهض ويتجه إليه:

- في إيه يا فارس؟

3

"حلا"

كان الم بطني غير مُحتمل، وأمنية تأخرت، ذهبت للشُرفة أتفقد الطريق واري إن كانت أتت أم لا، لكن الطريق كان خالياً، بعد دقيقتين رأيتها من بعيد لم تكن وحدها، كانت تتحدث مع أحدهم ولم تمر إلا لحظات ووجدتها تتركه وتتوجه إلي محل المُثلجات الذي يبعد عن الشاليه ببضع خطوات، انتظرتها تخرج منه وتصعد إلي وأنا أفكر من هذا الذي كان معها؟

عندما أتت أخذتُ الدواء واستلقيت علي السرير، جلست هي أمامي علي الطرف الأخر من السرير، رأيتُ بعينيها كلماتٍ وشعورٍ مُختلف لم أراهما في عينيها من قبل، لكن كان يتضح من تورد وجنتيها وابتسامتها البسيطة أن هناك ما يُسعدها وهذا ما حاولت اكتشافه، سألت:

-اتأخرتي ليه يا بت أنتي؟

-- فين اللي أتأخرت ده؟ أنا خلصت علي طول وروحت جبت الايس كريم وجيت جري

قلتُ بلؤم:

-لا يا أختي قبل الايس كريم وتحديداً لما كنتي واقفة مع حد في أول الطريق.

رفعت حاجباها دهشةً وقالت ضاحكة:

-ماشاء الله أنتي عينيكي لقطت اللي علي أول الطريق؟

--مش بس كده انا عنيا لقطت كمان انك جواكي كلام كتير عايز يطلع والسعادة بتنط من عينك، احكي يا أختي احكي.

رأيت بعينيها لمعة أعرفها جيداً، لمعة افتقدتها منذ نظرة إعجابي الأولي لشخصٌ ما، قالت:

-ياساتر عليكي الواحد ما يعرفش يخبي عنك حاجة أبداً!

عموماً هحكيلك عشان ترتاحي مع إن الحوار عادي ما فيش فيه حاجة...انا كنت واقفة في الصيدلية بعد لما وصفت للدكتور حالتك وهو راح يجيب العلاج المُناسب، ووقتها أنتي اتصلتي بيا وكنت بكلمك صح !

عارفه انه صح وهكمل، المهم

وقتها دخل شاب كدا زي القمر

لا زي إيه! هو قمر فعلاً، وأنا بقفل المُكالمة وبلف شوفته وهو أول ما شافني لقيته بيقول الله، فانا بصراحة اتكسفت جداً وارتبكت، بعدها الدكتور جه واخدت منه العلاج وخرجت، وهوب لقيت حد ورايا وبينادي يقول يا مدام

بيني وبينك أنا كنت بتلفت ليه عشان أضربه بس لقيته هو فا تنحت، وطلع كان فاكر اللي كُنت بكلمها في التليفون تبقي بنتي، ضحكت جامد لما قال كده فاستظرف بقي وقال الله تاني.. بس طبعاً ماسكتلوش المرة دي..

سألتها:

-ايوه هي دي أمنية الاندبيندت ومان اللي أعرفها، ها شتمتيه بأمه؟

ابتسمت ببلاهة وأردفت:

-لا اتكسفت تاني، وقلتله أنك صاحبتي بس تقدر تقول عليها بنتي وهو كان مُبتسم أوي وفضل ماشي وأنا ماشيه معاه وكأنه ابن خالتي ومعرفش في أيه الحقيقة! بس بقي وسابني ومشي من الشارع المُعاكس وخد قلبي معاه بقي.

ضحكت وقلت لها:

-طيب ما الموضوع طلع عادي أهو ومافيش أي حاجة خالص، أومال أيه بقي؟
آلا هو حلو يا بت يا أمنية؟

-- عادي يعني مافيهوش حاجة مُميزة غير عينيه القمر، دقنه اللي أحلي من حياتي، طويل بقي ودي المُشكلة.

تعجبت فسألت:

-مُشكلة ليه ما أنتي بتحبي الشباب الطوال؟

صاحت وهي تصطنع البكاء:

-ما هي دي المشكلة، الواد قمررررر يا حلاااا

تحدثنا مُدة ليست بطويلة عن الوسيم الذي خدع مشاعرها وأختلس بعضاً منها، كما خدعني تأثير الدواء وبدلاً من أن يُسكن الألم فقط، اختطفني في نوم عميق لم أستيقظ منه إلا في الواحدة ظُهراً، في هذا اليوم الذي كان من المُفترض الأخير استمتعنا بنزهتنا في أحد السوق التُجارية الشهيرة، وقبل أن ينتهي اليوم طلبت أمنية أن نُضيف لرحلتنا يوماً أخر، رفضتُ بجدية لظروف عملي لكنها استطاعت بإلحاحها أن تجعلني استسلم لرغبتها، أخذنا اليوم كاملاً ذهاباً وإياباً خلال اليوم رأيت أن أمنية حالها تبدل

تركيزها معي يكاد يكون مُنعدماً، عيناها تتجول بين وجوه البشر كأماً تبحث بين الوجوه عن ابنها التائه، أكدت لي شكوكي بانجذابها لوسيم الصيدلية وأنه ليس مُجرد إعجاب وهذا ما أكده لي حزنها طوال طريق العودة لحياتنا..

عُدنا وعاد روتين الحياة العملية، نوم ثم استيقاظ باكر، كوباً من القهوة وعمل للخامسة مساءً، ثم استحمام وغداء، وعمل مُمل أيضاً..ثم نوم لتُعاد الكره كل يوم..

مر علي رجوعنا من رحلتنا أسبوعين، وعلي عدم استخدامي لمواقع التواصل الاجتماعي ثلاثة أسابيع، لا أرغب في رؤية عالم مُزيف أكثر من نفوس من أُجبر في التعامل معهم كل يوم، كما أنني لا أرغب في أن يُصادفني فيديوهات وصور خِطبة هذا الذي يبتسم لي بسماجة كُل يوم في العمل وأقتل للمرة الثانية بنفس الطعنة...

نعم، أعتذر؛ أنا لم أُخبرك من البداية أن خطيبي السابق مُرشداً سياحياً يعمل لدي الشركة التي أنا أعمل بها hr ، أنا من وافق علي عمله، وأنا أيضاً من وافق علي أدارته شئون قلبي منذ أول لقاء بيننا..كما أنني من استطاع طرده من داخلي ولم استطع أن أفعلها في الشركة كي أمنعه من

تمزيق قلبي كل يوم...وقح، ولعين؛ الأمس يُخبرني أحبك، واليوم يُجبرني علي تركه، فيذهب لخطبة غيري في مساء الغد!

ولكن ما حدث في هذا اليوم، وتحديداً بعد رجوعنا من رحلتنا بأسبوعين، وبعد عدم استخدامي لمواقع التواصل الاجتماعي منذ ثلاثة أسابيع هو من قَلبَ كافة الموازين، بل هو تلك الأمنية التي تُرددها بصمت داخلك وأنت مُغمض عينيك عن الواقع ومُبتسم بحماس، وبعدما تفتحهما وتجدك ما زلت في واقع لا وجود للأساطير فيه، تختفي ابتسامتك وتظهر مكانها أخري ساخرة وتقول بصوت تسمعه أذناك كأنك ترغب في أن يسمعك عقلك ويكُف عن تلك الخيالات *هذا لن يحدث..هذه خيالات وأحلام مُراهقين*

كُنت جالسة في شُرفتي احتسي كوباً من النيسكافيه وأعمل علي اللاب توب الخاص بي أثناء ما رن جرس باب شقتي بعنف، تركت ما بيدي وركضت تجاه الباب افتحه برعب، وعندما فتحته وجدت أمنية ببجامة النوم فَزعة، لم تكن ملامح ونبرة خوف..كانت صدمة مُختلطة بسعادة وحماس، تصيح ولا أفهم عن ماذا تتحدث؟

ظلت تُخبرني أن أفتح صفحتي علي فيس بوك سريعاً وهذا كان يُغضبني بشدة، أصرت وكررت مطلبها بصياح، وما بداخل عقلي كل ما هو سيء، كانت فكرة أن أفتح تلك البوابة مرة أخري ستأتينني بكل رياح الذكريات السيئة دُفعة واحدة فصرخت بها بغضب:

-أمنيية أسكتيييي، قلتلك مش هفتح، مش هفتحح، افهمي بقي بطلي شغل العيال ده وقولي في إيه؟

صمتت ونظرت إلي بصدمة وحزن جعلاني أُدرك هول ما فعلته للتو، هذه كانت المرة الأولي التي اصرخ في وجهها بهذه الطريقة، ذهبت لشقتها

بصمت وأنا أُتابعها بندم من باب شقتي المفتوح، أردت أن أخبرها أن قلبي من كان يصرخ ليس أنا من فعلت، وجدت الدموع تنهمر من عيني بغزارة ليالي حاولت فيها أن أبكي وكبريائي منعني، مرت لحظات ووجدت أمنية تهرول باللاب توب الخاص بها إلي شقتي وهي تضحك وكأن ما حدث من دقائق كان من صنع خيالي!

أغلقنا الباب وجلسنا علي أحدي كنبات الصالون، وضعت اللاب توب أمامي مفتوحاً علي الفيس بوك الخاص بها، ما تفعله غامضاً، توقعت أن تكون وجدت صفحة الوسيم وترغب في أن تُريني إياه، ولكن لما كانت تُصر علي أن أفتح صفحتي في البداية؟

تعلقت عيناي بشاشة اللاب توب أحملق بها بعدم فهم وذهول، هذه صورتي التي تملا مواقع الفيس بوك! هذا أنا وهذا شباك سيارة أمنية! من التقط هذه الصورة ومتي وكيف..ولماذا؟

لماذا هي هنا؟

قالت أمنية بحماس:

-اقري الكلام اللي في البوست الاساسي اللي فيه الصورة.

نظرت لها وعلي ملامحي آلاف من علامات الاستفهام والتعجب، فأضافت وهي توجه الشاشة تجاهها قليلاً:

-استني أنا هقرألك أنتي لسه مصدومة..حقك.

تنحنحت وبدأت في القراءة:

(أنا مصطفي، لا مش اللي في الصورة أنا اللي هتكلم أسمي مصطفي ركزوا معايا...بعد حلم دام سنين وبعد مُحاولات كتير في أني أحققه، ويأس كبير ومُتكرر كالعادة قررت أحكي ليكم علي حاجة مهمة جداً وفي نفس الوقت هطلب طلب كلكم هتفرحوا بيه زيي، المهم..أنا ليا حلم من سنين والحلم ده يكاد يكون أتدفن من أسابيع من كتر ما يئست وأحبط واترفضت..الرفض مش بس سيء في الحب، بل مُميت في الفرص اللي بتوصل لطريق سعادتك.

أنا من أسابيع دخلت في حالة اكتئاب وانعدام شغف، كنت حابس نفسي في اوضة ضالمة بلومها علي أنها قررت تعافر في حلم.. أياً كان الحلم..لحد ما الدنيا نورت بالصدفة، الحياة آدتني بالقلم تفوقني وتقولي لسه في أمل...ده حصل يوم ما ظهرت قدامي صاحبة الصورة، وفي ثواني عقلي قرر يلقط ليها صورة علي غفلة عشان تطلع بالشكل المُلهم ده واللي وصلني لأولي طريق حلمي، ولأول مرة أدوق طعم القبول، كأن بسحرها وبساطتها أجبرتهم يختاروني من وسط مئات الأشخاص وأكون من ضمن تلاتة بس يسافروا بسبب صورة.

الطلب، برجوكم تعملوا شير علي أوسع نطاق، لازم أوصلها وأشكرها، عارف أنها ممكن تقاضيني بالصورة وأتبهدل في، المحاكم بس هي قدرت ترجعلي ثقتي في ربنا اللي كنت قربت أفقدها، فأنا واثق أن أي حاجة هتحصل هتكون خير...وصلوني ليها بأسرع وقت لأن سفري بعد خمس أيام.)

انتهت من القراءة ونظرت إلي بابتسامة لتجدني واضعة كلتي يداي علي فمي ناظرة لها بصدمة، لم أفهم شعوري من المُفترض أن يُصنف بماذا؟ كنت أشعر بأن هناك حرارة منبعها رأسي، قلبي كالمتوقف رُغم سُرعة دقاته التي كنت أسمعها مع صوت أمنية وهي تقرأ، سعادة وغضب، قلق وأمل..عدم تصديق مع محاولات عديدة لاستيعاب الموقف، قالت أمنية:

-معني كده أن الكاميرة اللي كانت بتصور في العربية اللي عدت من جنبنا ماكانتش بتصور الطريق، كانت بتصورك أنتي بالفعل.

--أمنية أنا مش فاهمة حاجة.. وبعدين أنتي شوفتي الحوار ده أزاي؟

اعتدلت في جلستها وحدثتني بأن صديقتها هاتفتها وأخبرتها ففتحت الفيس بوك ورأت المنشور، وفهمت لما كان إصرارها بأن أفتح صفحتي خصيصاً عندما قالت:

-كل اللي يعرفونا عملولك منشن علي البوست وعملولي وإحنا طبعاً قافلين فيس ماشوفناش، بس كده صفحتك وصلت لمصطفي وعامل تعديل للبوست وضايفله كلام أنا لسه ماقرأتهوش ليكي...

قاطعتها بلهفة وسألت:

-كاتب أيه؟

****

"مصطفي"

• (باقي علي السفر تلت أيام، قدرت أوصلها بسببكم ومُتشكر ليكم، بس هي خالفت كل توقعاتي وماردتش علي رسايلي ولا علي منشناتكم...كان نفسي ولو حتى تدخل تشتمني...بس دي كمان ماعملتهاش واكتفت بالصمت..)

قرأت هذه الكلمات لآلاف المرات بحزن علي مدار ال6 ساعات منذ تعديلي للمنشور وإضافتهم في أخره، كنت أُعد بعض الأغراض بحقيبتي قبل أن أنام بعدما تركت هاتفي بعد قراءتي للمنشور مرة أخري، كان يجب أن يكون لها رد فعل..لماذا لم تفعل؟..هل أغضبتها بالقدر الذي يجعلها تُفضل الصمت أكثر من توبيخي؟

أم أن كما يُقال الجميل دائماً مغرور؟ دخل فارس الغُرفة ووجدني أنظر للحقيبة بتفكير ولم أكن سعيداً فتساءل بمرحه الدائم:

-أكيد زعلان عشان سايبني ومسافر صح؟

ابتسمت وأنا أصطنع انشغالي باعداد حقيبتي فقال لي بجدية:

-مصطفي أنا مش شايف فرحتك اللي كنت مستنيها يوم ما يتحقق حلمك بالسفر، مش شايف الفرحة اللي كنت بتتنطط وتحكيلنا بيها وقت ما جالك ايميل بقبولك في المنحة..ليه حاسس أنك حزين؟

تركت ما بيدي وجلست أمامه وتنهدت، نظرت له بيأس:

-ماكنتش متخيل أن في حاجة تانية ممكن تحتل تفكيري غير تحقيق حلمي اللي رايحله..ماكنتش عارف أن ردها عليا أو أي حاجة منها أهم من أني أتقبلت في المنحة أصلاً...أنت مُتخيل أن اللي بتكلم عنها دي حد ماعرفهوش؟

نظر إلي وهو يبتسم وقال بحنان:

-عشان هي لما ظهرت ضافتلك شيء جديد غير شغفك بحلمك، صنعتلك منها حلم جديد، قدرت بصدفة ونظرة تخلق جواك رغبة في تحقيق حلم جديد وأنت مش داري..

اتسعت ابتسامته بعدما أنهي حديثه ووجدني ابتسم، غمز إلي بأحدي عينيه ونهض ليخرج من الغُرفة، وقبل أن يخرج صاح بمزاح:

-بس أفتكر يا عره أن أنا اللي أديتك الكاميرة يومها ورجعتك للتصوير، وروحت تخلي الدنيا كلها تشكرها وماجبتليش حتى كيس شيكابون تشكرني بيه.

وقبل أن أقذف وجهه بوسادتي كان أغلق الباب ورحل، جلست أفكر فما قاله..أهو صحيح؟..هل أعجبتني؟

سمعت صوت وصول رسالة نصية علي فيس بوك فأمسكت بهاتفي أري من المُرسل لأجدها منها، فأنهض مُسرعاً كمن صفعه ماس كهربائي، قلبي يُحلق، عقلي يرقص، الطاقة تدب في عروقي، أقفز وأصيح من فرط السعادة ونسيت أن أقرأ ما أرسلته لي، جلست علي السرير وفتحت رسالتها لأجد منها مُلصق بوجه مصدوم! فقط هذا! لماذا هذا فقط؟ عدت لأول الرسائل ما الذي أرسلته لها جعلها لا تجد ما تنطق به غير مُلصق صغير مصدوم!

كانت رسائلي كالأتي

-أنا مش مصدق نفسي أني قدرت أوصلك بالسرعة دي.

-أنا عايز أقابلك بقي...مانا لازم ؟أقابلك يا حلا والله ماتحاوليش.

-صحيح كنت متوقعك آسيا، روزالين..أنجل...بس طلعتي حلا وده شيء أجمل والله من أسماء الأدوية اللي كنت بتوقعها دي!

-طب عدم ردك ده غرور ولا الصدمة موتتك ولا إيه حد يطمني!

لم أصدق أنني من أرسل هذا، أنها من المؤكد تراني مُختل عقلياً وبدلاً من إبلاغ الشُرطة ستُبلغ مستشفي الأمراض العقلية باسمي، كتبت لها:

-بصي بكره الساعة 6 في OPA الشيخ زايد

أجابتني:

-حضرتك مجنون؟

سجلت لها رسالة صوتية قائلاً:

-غالباً أنا بقيت كده فعلاً، بصي من حقك تعلافي كل اللي حصل وليه؟ أزاي؟ زي ما من حقي أقولك أنتي بالذات وكمان أشكرك، لازم أقابلك بكرة وده مش إجبار والله بس ده طلب أخير وأرجوكي توافقي، مش قدامي وقت كفاية أننا نتجادل...ممكن؟

4

"حلا"

لم يكن من اليسير أبداً أن أتنازل وأعاود الضغط علي زر تسجيل الدخول إلي فيس بوك ولكن في النهاية فعلت علي أي حال، لا تظن أنه استطاع استعطافي بكلماته الأخيرة في مَنشوره، أنه فقط فضول المرأة من ساقني إلي الرغبة في رؤية ما قد أرسله لي. الأمر كان أقرب إلي سيناريو فلم هندي خيالي، كيف فعل ذلك؟ وكم من مئة تخطت نسبة جُرأته لتسمح له ليفعل ما فعل؟ لن أُنكر أنها أول مرة أحب رؤيتي في صورة، أُحببت أحاديث البشر عنها..

أحببتني من صورة وكأنها لم تكن أنا! كانت كلماته لها أثرٌ كبير داخلي، لا أعلم لما شعُرت بذلك عندما سمعتها؟ شعرت بأن الكلمات بين أحرفها دفئ، بهجة وفخر!..أو ربما صدق، انتابني الفضول لمعرفة عن أي سفر يتحدث؟ وأي حُلم هذا الذي كانت صورتي سبباً في تحقيقه؟ أستطيع أن أُخمن أنه هاوي تصوير ولكن لا أفهم باقي الألغاز!

كانت أمنية سعيدة بالأمر كثيراً، ترسم أحداثاً خيالية في عقلها، وتقصها لي وأنا أشاهد كم الإشعارات التي أتت تدعوني أن أري الحدث التاريخي للبحث عن الأميرة التائهة كما تُسميه أمنية:

-بس بقي هو هيدور عليكي ويوصل لبيتك ويقف تحت العمارة يستناكي بورد ومع أول نظرة تحبوا بعض، وهو يسافر بقي وأنتي تفضلي مستنياه يرجع، ويفضل يبعتلك رسايل علي الفيس بقي ولما ينزل مصر يخطبك فجأة وتبقي قصة حُب الموسم واو.

ضَحكت بسُخرية وأنا أقول لها:

-يخطبني فجأة آه، هصحي من النوم ألاقيه بيقولي بخ خطبتك...بطلي أحلام اليقظة دي وخليني أشوف هعمل إيه في الليلة اللي مش فايتة دي، دانا بعزف في حفلات في الأوبرا بقالي 4 سنين وماحدش عرف اسمي حتى، تيجي صورة علي غفلة تخليني حديث الأمة!

--وهو حد يلاقي شهرة ويقولها لا !

-شهرة في شيء غير مُفيد تبقي شهرة مؤقتة مالهاش لازمة وهنتهي في عقول الناس وحديثهم بسهولة وبسرعة زي ما اشتهرت ف 26 ساعة بسهولة وبسرعة...أكيد لو اشتهرت في حاجة مُفيدة هاحب ده.

تساءلت أمنية بتعجب:

-افهم من كده انك متضايقة من الحوار ومش حباه؟

ابتسمت بخجل وأنا اقرأ رسائله، نظرت لها وأُجبتها:

-شكلي هحبها كده..بصي باعت إيه بصي.

قرأت أمنية رسائله بصوت عالٍ وضحكنا سوياً، يبدو أنني وقعت في دلو أحد أبطال فلم رسوم مُتحركة، رسائله متوترة، تُعبر حروفه عن لهفته ونفاذ طاقة الانتظار لديه، شعرت من طريقته أن من يُحادثني طفل ليس

مصور مُحترف استطاع إقناعي بملامحي التي لم يُغير بها شيئاً غير أنه جعلني أراها بواسطة عينيه..

في وقت ما كُنت أبحث عن ردود تُناسب ما أرسله غير ذلك المُلصق المصدوم الذي أجبرني جنون رسائله علي إرساله، كان قد أرسل رسالة آخري، فاجئني تسرعه، بل وأخافني، كان يُريدني أن أقابله يوم غد في أحدي المطاعم الشهيرة والذي أعشق تفاصيله، أخافني اختياره للمكان قبل خوفي من طلبه لمُقابلتي، فهل هذه أيضاً مُصادفة أن يختار مكاني المُفضل؟ أم أنه عَلُم عني أكثر من اللازم؟..من يظن أنني أكون؟ لن أقبل بالفعل بأن أُرافقه لأي مكان، قررت أن أتشاجر معه، وبجدية وانفعال كتبت له (هو حضرتك مجنون؟)...

نعتتني أمنية بالسخيفة لردي ولكن هذا ما يجب أن يحدث مع هؤلاء المُراهقين فكرياً وفعلياً، تأخر في الرد فعلمت حينها أن ردي أغضبه وحتماً سيظهر علي حقيقته ويتشاجر معي الآن...ما هذا؟؟ فاجئني بإرسال رسالة صوتية

لو أنني لا أعلم من أنا وماذا عشت، لقلت أن هذه أول مرة تُحرك مشاعري نبرة أحدهم..تسجيل صوتي يتوسل إلي فيه أن أقابله غداً ولا يتعدي الدقيقة، كان كفيلاً بأن يجعلني أشعر بالسعادة كأن ما قيل فيه قصيدة باسمي، نبرته قوية دافئة، لبقاته أعجبتني رغم توتر أنفاسه..

ورغم رغبتي الشديدة بعد سماع صوته في أن أُحادثه عن قُرب، واعلم ما يُخبئه لي ويريد الإفصاح عنه، إلا أنني رفضت رفض قطعي، جادلتني أمنية كثيراً مُحاولة إقناعي بأن اذهب ولكن هذه المرة لم اضعف أمام إلحاحها وإلحاحه..فقد اكتفيت من ألاعيب هؤلاء الذكور...

بعدما أنهيت الحديث معه وغضبت أمنية من أسلوبي، قررت أن تذهب لتعود لنومها وقبل أن تخرج من الباب وتغلقه خلفها قالت:

-ماتنسيش تبقي تشوفي صورته الشخصية يمكن تغيري رأيك.

لماذا توم كروز هو أم ماذا؟ وإن يكن ..لن أغير رأيي مُطلقاً..ذهبت لصورته الشخصية لأثبت لنفسي أنني علي خطأ!

تناسيت أنني كنت اشتُم الذكور منذ لحظات وأخذتُ أتأمل تفاصيل ملامحه بإعجاب شديد، بشرته الخمرية وعيناه البنيتان استعمرا قلبي حقاً، لحيته الخفيفة، وشعره الناعم، وملامحه الحادة خليط غير مُتطابق لكنه جذبني بشدة خصيصاً بعدما سمعت صوته في التسجيل الصوتي مرة أخري وأنا أتأمل ملامحه في الصورة..

ولكن لا...لن أغير رأيي...ربما!

****

في احدي الشركات الكبرى دخلت فتاة جميلة بشعر يستمد لونه من حُمرة غروب الشمس، ترتدي قميص أبيض وبنطلون قماش أسود، ترتدي حقيبة كتف صغيرة بلون أحمر شفاهها الرقيق، تخطوا بثبات وثقة وتتبعها أعين الجميع وهمهمتهم مسموعة كصوت دقات كعوب حذائها الأسود، أوقفتها مجموعة من موظفات الشركة لالتقاط صورة تذكارية معها...

كانت هذه حلا، الحدث المُتداول بين موظفون الشركة، صورة حلا، وشُهرة حلا التي لم تستمتع مُطلقاً بالأجواء الجديدة المُضافة لحياتها...فهي لا تُحب الزحام، و تكره الاختلاط بالبشر خارج نطاق العمل..هذا الصباح كان مُرهقاً لمزاجها فتعكر كل شيء حولها بتعكيره، قضت أولي ساعات العمل في حالة من العصبية والتوتر، في وقت استراحة الغداء أخذت حقيبتها وهربت من الشركة إلي مقهى قريب منها، جلست تحتسي كوباً من

النيسكافيه وتأكل بعض من الكعك بشراهة، كانت تنفس عن غضبها في الكعك حتى سمعت صوت ارتجف جسدها بأكمله فور سماعه:

-سألت عنك في الشركة وعرفت أن حماتي بتحبني وجاي علي الغدا فقالولي هلاقيكي هنا..ممكن أقعد؟

ولا هترفضي دي كمان؟

صُعقت من المُفاجأة عندما وجدت مصطفي أمامها، ابتلعت ما بفمها من طعام بصعوبة وهي تنظر له غير مُصدقة ما يحدث، كانت ترغب في لكمه في وجهه قبل دقائق علي ما أضافه لحياتها من ازعاج خلال يومٍ واحد، ولكنها وجدت أنها سعيدة برؤيته، لم تستطيع منع نفسها من الابتسام، تنحنحت وحاولت أن تبدوا أكثر جدية فقالت له بنبرة حادة:

-الكافيه مليان أماكن فاضية مُمكن حضرتك تختار اللي يعجبك وتقعد فيه..

--تمام مُتشكر جداً أنك وافقتي، بتخجليني بتساهلك معايا ده والله.

جلس أمامها وداخلها رغبة في الضحك علي وقاحته خفيفة الظل، ولم تقدر علي كتمانها أكثر فانطلقت منها ضحكة هادئة وسألته بودٍ حقيقي:

- أنت طلعتلي منين مش فاهمة بجد؟ عايز إيه يا مصطفي ؟

--مش عايزة تقابليني، فقلت أقابلك أنا...أعرفك بنفسي بقي، بس قبل ما أعرفك بنفسي بجد لو مش حابه تسمعيني قوليلي وأنا هحترم رغبتك ومش همشي برضه عشان والله العظيم لاحكيلك.

ضحكت حلا هذه المرة بقوة وعندما انتهت وجدته ينظر لها مبتسماً؛ فشعرت بالخجل واستطاع رؤية ذلك بوضوح من تورد وجنتيها، قال:

-طالما ضحكتي يبقي مش هتضايقي من كلامي...

--بس أنا فعلاً ورايا شغل.

-البريك قدامه 10 دقايق وينته،ي وأنا مش محتاج أكتر منهم لأني هشوفك النهارده 6 مساءً في OPA الشيخ زايد.

رمقته بنظرة تعجب وتحدي، فابتسم ابتسامة من خطط للفوز بمعركته جيداً، وأكمل:

-مصطفي إيهاب، ابن إيهاب النجار صاحب شركات النجار للاستيراد والتصدير واللي أنا مُدير شركة منهم .. ودي المُقدمة اللي من صغري بكرهها فأنا هقولك، مصطفي إيهاب عاشق التصوير من سن 11 سنة، أول كاميرة امتلكتها كانت هدية من خالي في سن ال16...كنت بصور بيها أي حاجة وكل حاجة وكل وقت وكل مكان..

ابتسمت حلا بحنان فساعده ذلك علي أن يكمل حديثه:

-هنا كان بدأ حلمي بأني أكون مُصور عالمي، بس كانت راغبة والدي غير كده، وعشان كده من سن 17 بدأ يعلمني شغلانته عشان سنتين تلاتة وأحقق حلمه وأمسك إدارة شركة من شركاته أنا وأخويا التوأم..

ماكنتش مُتمرد وكنت بعمل اللي هو عايزه وأنا مش حابب ومن جهة تانية بحاول أحقق حلمي ولما لقاني كده حب يساعدني بفلوسه..رشوة يعني، بس أنا رفضت لأني واثق في قدراتي

كنت بقدم علي منح تصوير كتير وفي كذا بلد، وما كنتش بتقبل معرفش ليه رغم إن الكل كانوا بيقولوا إني بختار صور حلوة جداً..بس انا عرفت دلوقتي ليه..عشان النصيب أن أول منحة أتقبل فيها تكون بسببك وتعرفني بيكي..

المهم..الفترة اللي قبل الصورة كان أخر أمل ليا بعد 6 سنين محاولات...بالمناسبة انا 26 سنة...المُحاولة دي استنزفت الباقي من طاقتي وشغفي لأني تعبت جداً في تحقيق شروطها، عشان اقدر أصور صورة مش مألوفة وذات معني..بتتكلم عن نفسها زي ما بيقولوا ...واترفضت، فاكتأبت وانعزلت

وقبل ما أشوفك بيوم ظهرت قدامي منحة لقيتني بعيط وبقفل اللاب وأنام هروب من شغفي اللي مابقاش موجود..لحد ما شوفتك، في خلال ثواني كل حاجة أتكهربت..كأن رؤيتك عملت إشعال ذاتي ليا، لقتني تلقائي بلقط الصورة وأنا ملهوف وسعيد وخايف...خايف لان الفكرة أتبنت جوايا من جديد...وبالفعل ماترددتش إني ابعتلهم الصورة في نفس اليوم عشان تتوافق عليها بعد أسبوعين....مادرتش بنفسي إلا وأنا بعمل البوست وبشوف أول شير ليه، فوقت وركزت...كنت همسحه اكتر من مرة بس حاجة جوايا كانت بتقولي لا...

أنا مسافر أوكرانيا بعد بكره، مش هرجع غير بعد 3 شهور، هناك هتعلم حاجات كتير وهجرب تجربة جديدة عليا أنتي سبب كبير فيها فكان لازم الاقيكي قبل ما أمشي وأشكرك.

كانت تُنصت لما يقول بتركيز شديد، تبتهج من حين لأخر وعلي وجهها ابتسامة لم تزول، ابتسامة طمأنته وجعلته يشعر أنه فعل الصواب بالحديث معها عما بداخله، وعما لا يناقشه مع شخص أخر غيرها، صمت وكانت تنتظره أن يُكمل وهذا ما رآه في لمعة عينيها، لكنها لم تكن تُدرج أن وقت راحتها قد أنتهي، قال مصطفي:

-كنت حابب أقابلك عشان أنا كنت حاسس إني عايز أتكلم واعبر عن فرحتي ليكي لأنك كنتي سببها وكان لازم أسعدك زي ما أسعدتيني، أنا مُمتن ليكي يا حلا.

ابتسمت بخجل وأجابت:

-قبل ما تيجي من دقايق كنت بفكر أعرف عنوانك وأجي افجر بيتكم لان حياتي بقت كلها عيون ناس وسماجة وزحمة وده لا يتناسب مع شخصيتي.

ضحك فأكملت:

-بس بعد كلامك أنا أتشرفت جداً بمعرفتك، وسعيدة ليك جداً وأفتخر بأن صورتي أتصورت بكاميرة شخص مُحترف فعلياً بل ومُجتهد..ومبروك علي المنحة.

--الله يبارك فيكي يا حلا...وآسف بجد لو كنت وقح أو مُزعج أو مُتطفل..كلهم مش أنا بس الظروف اللي أجبرتني أعاندك بيهم....المهم بقي، أنتي لازم تقومي بسرعة لان البريك خلص من بدري.

نظرت لساعة يدها وصرخت عندما رأت الوقت وقبل أن تنهض قال لها:

-بابا وماما وفارس أخويا ولمي أختي الصغيرة حابين يتعرفوا عليكي، وهنستناكي كلنا في OPA الساعة 6...ممكن بجد ما ترفضيش لو مش عشاني فعشان ماتكسفنيش قدام أهلي!

نظرت له حلا بحيرة، ترغب في الرفض ولكنها تحتاج أن توافق..أنها تشعر بأنها ترغب في رؤيته مُجدداً، صمتت لدقائق ثم قالت بحزن:

****

"أمنية"

كنت استحم حينما رن جرس الباب بعنف، فُزعت وحاولت الإسراع في إزالة الصابون من فوق رأسي لأخرج وأري من الطارق؟.. أتاني صوت باب الشقة يُفتح وسمعت صوت حلا تُناديني بلهفة، ارتعبت خوفاً من أن يكون أصابها مكروه، أخبرتها بأنني في الحمام فأتت مُسرعة إلي بابه، حدثتني من خلفه قائلة:

-أمنية مصطفي جالي الشغل يا أمنية..

أغلقت الصنبور وأنا أجفف جسدي بالمنشفة وأسألها ببهجة:

-أوعي بقيبي، وإيه اللي حصل؟

قالت بارتباك:

-وعزمني هو وعيلته علي عزومة أمبارح اللي رفضتها و..

-وافقتي؟ صح؟

ضحكت ضحكة بلهاء وقالت:

-هيهيهيههي آه وقلتله أني هاجيبك معايا.

فتحتُ باب الحمام بصدمة وأنا أصيح:

-نعم ياختي؟؟

--آه والله أنا وافقت بعد إلحاحه بس بشرط أنك تيجي معايا، ما أنا مش هروح لواحدي أنا... والمعاد كمان نص ساعة فيللا البسي عشان هنتأخر.

تركتني وركضت لشقتها وحاولت اللحاق بها ولكنها سبقتني بإغلاق باب شقتها خلفها، وأنا أقف بشعري المُبلل أمام شقتي كالبلهاء لا أفهم شيئاً غير أنني قبلت عزيمة احدهم لم تُعرض علي من الأساس.

ارتديت ملابسي ومررت بها وجدتها أمام المرآة تُمشط شعرها، التفتت لي وسألت وهي واضعة يدها في خصرها:

-إيه رأيك؟

ابتسمت بتلقائية، حلا كانت سعيدة بالفعل، عاد بريق عينيها، وعادت الحيوية لابتسامتها، كانت ترتدي فستان أسود بسيط، وحذاء وردي كلون طلاء أظافرها..لم تضع أي مساحيق تجميل، كانت لا تحتاج فتجملت ببهجتها هذه الليلة...

-غالباً يا حلا هو لو شافك النهارده هيلغي السفر.

بعد وقت قصير، وصلنا إلي المكان، وقفنا بالسيارة أمامه كانت حلا قلقة وترتجف وأحاول طمأنتها، كان مصطفي ينتظرنا أمامه وعندما رآنا تقدم إلينا، فتح باب حلا والقي التحية علينا ونحن نتعارف وجدت أحدهم يدخل رأسه من النافذة التي بجواري قائلاً بدهشة:

-مش معقول؟ أنتي؟؟

التفت لأجده وسيم الصيدلية، صُدمت، تسمرت مكاني لا أفهم شيئاً، كل ما بي كان يرتجف، تجمدت أعصابي وارتخت في نفس اللحظة، شعرت بأن أنفاسي توقفت...نظرت لحلا أستنجد بها كأنني أريدها تصفعني كي أستيقظ من هذا الحُلم فوجدت مصطفي يسأله:

-أنت تعرف أمنية يا فارس؟

نظر إلي بابتسامة وانظر له بصدمة وقال:

-أتقابلنا في الصيدلية في الساحل...

****

كان مصطفي يجلس داخل الغُرفة بالشاليه يستمع إلي حمزة نمرة، من يستطيع في كل لحظة يأس أن يقذف بقلبه خارج كومة الإحباط تلك، تستطيع من بعيد قراءة توتره، وحماسه وأهمية ما يفعله من خلال تركيزه في شاشة اللاب توب الخاص به، أمسك بالكاميرة وأخذ ينظر لصورة الفتاة طويلاً كأنه يتحدث إليها بنظرته، أغلق الكاميرة وعاد بتركيزه إلي اللاب توب، فتح ال gmail الخاص به، كتب أسمٌ ما في خانة إرسال

رسالة جديدة، قام بتحميل الصورة ومعها ملف pdf مكتوب باللغة الإنجليزية وضغط إرسال...

أغلق اللاب توب وخرج للشُرفة، استند للسور الحديدي مُبتسماً، تنهد بقوة ونظر إلي أسامة الذي يدعوه لمشاركته لعب الشطرنج، جلس أمامه وأخذا يستعدان للعب حتى دخل عليهما فارس يتصبب عرقاً، لاهثاً ومُرتبكاً فأرعبهما مظهره، سأله مصطفي وهو ينهض ويتجه إليه:

- في إيه يا فارس؟

-- شوفتها، شوفتها يا مصطفي...فتاة أحلامي.

تنهد مصطفي وقال:

- حرام عليك رعبتني يا أخي

قفز من مكانه أسامة وأمسك بذراع فارس وهو يبتسم قائلاً:

-أخيراً، واحدة عرفت تحرك مشاعرك يا بغل أنت بعد 26 سنة، شكلها إيه ولا شوفتها فين و أزاي؟ اخلص قول.

تنهد وقال وهو واضعاً يده علي قلبه:

-طبيعية بشكل جميل أوي، بسيطة أوي وضحكتها جننتني، كنت بجيب برشام صداع وشوفتها في الصيدلية، كنت عايز اكلمها بأي شكل فاستغليت انشغالها وخبيت مفاتيحها اللي حطتها ع الازاز وأول ما خرجت روحت عشان ادهالها.

قال مصطفي:

-حلو أووي طلع عندك أفكار وواد شقي وبعدين، ها !

أكمل فارس:

-قلتلها يا مدام يا مدا..

قاطعه أسامة بصراخ:

-قلتلها يا مدام؟؟يخربيتك أنا قلت أنت مش هتنفع والله.

--يابني استني بس ما انا كنت فكرتها كده عشان كانت بتكلم حد، حسيتها طفلة ففكرتها بنتها وطلعت صاحبتها...المهم بقي وصلتها لحد شارع الشاليه بتاعها وادتها المفاتيح ومشيت بقي.

صمت الاثنان مُنتظرين تكملة وبعد لحظات سأل مصطفي:

-ايوه وبعدين؟

--بس كده.

-نعم! طب اخدت رقمها يعني؟

--لا ماجاش في بالي.

صفع جبينه أسامه بنفاذ صبر وسأل:

-يابني أنت عايز تشلنا؟ أومال إيه فتاة أحلامي وصابرين من 26 سنة نلاقيها ويوم ماتشوفها ماتاخدش تليفونها؟

طب اسمها إيه وإحنا نحاول نوصلها من الشاليه؟

عقد حاجبيه وقال بحيرة:

-مش عارف نسيت أسألها..

نظر مصطفي وأسامة لبعضهما وتحركا من أمامه وأغلقا عليه إضاءة الشُرفة وبابها وتركاه فيها يصرخ

-خرجونااي، هحاول أوصلها بس خرجوني وحياة أبوكم الجو برد.

"فارس"

نعم الفتاة جميلة، والصدفة فُرصة رائعة، والموقف أضاف كمٍ كبير من البهجة للحياة..لكن كل هذا لمصطفي، لماذا أصر والداي علي حضورنا أنا ولمي صاحبة ال10 سنوات عشاء التعارف هذا! ألا يستحق المرء قسطٌ من الراحة بعد عودته من العمل؟ هذا ليس عدلاً..

عموماً..لقد ذهبت، فعلي الأقل هناك طعام جيد، وحقاً كان اختيار مصطفي للمكان اختياراً مُمتازاً، الألوان مُبهجة تليق بسعادتنا لسعادة مصطفي، الموسيقي تنقلك من أمام البوابة للداخل بسحرها كالطائر بأجنحة لا تُري، فقط تشعر بها تحلق بك عالياً مع اللحن، هدوء الإضاءة كالمُعالجة الروحانية تتسلل لداخلك براحة وتُشعرك بالسلام، تخلق من حولك جوً مليء بالدفء النفسي والهدوء، الأجواء اليونانية في المكان جعلتني أشعر أنني أحد أثرياء فرنسا قادم لرؤية حبيبته اليونانية في مطعم شهير في احدي أحياء اليونان المحبوبة.

طلبت لمي من مصطفي أن يقوم بتصويرها أمام حائط الورود الموجود بالمطعم ولكنه رفض، كان متوتراً ومن حين لأخر ينظر لساعته، حَزنت لمي وكادت أن تبكي حتى أخذتها والتقط لها أكثر من صورة وعادت إليها السعادة من جديد، عدنا إلي الطاولة التي تجلس بها العائلة فلم أجد مصطفي فتساءلت:

-مصطفي راح فين؟

أجابت والدتي وهي تنظر تجاه مدخل المطعم بترقب:

-راح يستقبل حلا وصاحبتها.

تساءلت مُتعجباً:

-صاحبتها؟؟

--آه قال إنها عشان توافق تيجي كان لازم حد يجي معاها فجابت صاحبتها اللي عايشة معاها.

قلتُ بحماس وأنا اضبط قميصي قبل أن اذهب إلي مصطفي بالخارج:

-لا ده الحوار شكله بدأ يحلو بجد.

لم أصدق عيناي وأنا أراها أمامي، لم يخطر علي بالي ولو للحظة أن أراها مُجدداً، كيف قادها القدر لهنا؟

من المؤكد أن الفتاة التي كنت أظنها أبنتها تكون حلا الجالسة جانبها في السيارة، أردت أن أركض إلي مصطفي أولاً كي أُقبله علي هذه الصورة التي كان التقاطها في صالحي، ولكن عندما تخيلت ذلك للحظة وجدت أن فكرة تقبيله شيءٍ مُقذذ، سأكتفي بشُكره في وقتٍ لاحق، لم اشعر بنفسي إلا ورأسي داخل شباكها، صُدمت المسكينة أنا أعلم ولكن ليس كصدمتي برؤيتها مُجدداً..أو ربما هو كذلك ولم تتوقع رؤيتي مرة أخري هي أيضاً لذلك تنظر إلي بصدمة دون أن تتفوه بكلمة.

تساءل مصطفي:

- أنت تعرف أمنية يا فارس؟

ابتسمت ونظرت لها عندما علمت اسمها؛ فهي بالفعل أمنية لسنوات طوال مضوا تحققت بأول لقاء لنا، عندما أجبته بأنها فتاة الصيدلية كاد أن يضحك فرمقته بنظرتي فحاول إخفاءها، ترجلت حلا من السيارة ففتحت الباب

الخاص بأمنية ودعوتها للخروج، خرجت ووقفت تنظر إلينا، ألقيت التحية علي حلا أولاً فسألت:

-أنت بقي فارس أخو مصطفي التوأم صح؟

أومأت لها بنعم، اتسعت حدقتا أمنية ونطقت أخيراً، حيث سألت بدهشة:

-أخوه التوأم!!

ضحكت بقوة ووقفت بجانب مصطفي وأنا أقول بمُزاح:

-هو أينعم توأم، بس الحمد لله مش مُتشابهين، ربنا أنعم علي بالجمال والكاريزما بس هو لا.

ضحكنا جميعاً وتوجهنا للداخل وأنا لا استطيع تحريرها من نظرتي، في الداخل عندما رأت أمي حلا وقفت مُسرعة وفي عينيها إعجاب شديد أعلم ما ستنويه بعده..حسناً سأعترف، لقد انتابتني الغيرة؛ فهي سلمت عليها بحرارة أولاً وخَفتُ ألا تفعل مع أمنية التي كانت واقفة بجوار حلا خجلة، سُرعان ما اختفت غيرتي عندما نظرت لأبي ووجدته ناظراً إلي أمنية بابتسامة واسعة، وتلته أمي بعدما انتهت من الترحيب بحلا

نظرت لأمنية بابتسامة واسعة ورحبت بها بقوة كما فعلت مع حلا، جلسنا بعدما انتهينا من حفلة الترحيب تلك والتي كانت فيها لمي وحدها أكثر حظاً بالقُبلات والأحضان والهدايا، حرصت علي أن يكون موضع جلوسي بجوار أمنية كي أستطيع الحديث معها، طلبنا ما سنأكل وجلسنا نتحدث جميعاً ونضحك، سأل أبي حلا:

-وأنتي بقي يا حلا شغالة أيه؟

-- أنا يا عمو Generalist في قسم ال Hr لشركة سياحة، وعازفة كمانجة في الأوبرا...بس مش بعزف في كل الحفلات، حفلات مُعينة بس.

قال بإعجاب شديد:

-ما شاء الله دا أحنا هنحتاجك معانا بقي في شركاتنا...بس ده طبعاً لو أنتي حبيتي تنورينا.

ابتسمت حلا وقبل أن تُجيبه نظرت أمي لأمنية وسألتها:

-وأنتي يا أمنية بتشتغلي؟

تنحنحت أمنية ونظرت إليها وأجابت بابتسامة:

-آه يا طنط الحمد لله، أنا صحافية.

كان والداي مُنبهرين بهما كثيراً، تحدثوا طويلاً وأنا لم أشارك غير في النظر إليها، كنت أتأمل تفاصيلها غير مُصدق أنني أشعر بشيء داخلي ينبض عندما أنظر لها، كنت فاقداً للأمل في أن تستطيع اختراق قوانين قلبي أحداهما علي هذه الأرض...بعدما تناولنا الطعام والذي كان لذيذاً للغاية، وطلبنا مشروباتنا استطعت اختطاف انتباه أمنية لي، سألتها بصوت لا يسمعه غيرها أثناء انشغالهم جميعاً في الحديث:

-صدفة غريبة أوي مش كده؟

ابتسمت بخجلها المُحبب إلي وقالت:

-مافيش حاجة صدفة، كلها أقدار..أكيد للصدفة دي سبب، زي ما كان لصورة صدفة سبب في وصول شخص لحلمه..أكيد في سبب لصدفة جديدة مش مُتوقعة تماماً.

كان الحديث إليها مُمتع كما أن النظر لها نعمة كبيرة لا مُحال، لا أعلم كيف فعلت ذلك؟ وجدت أنني أتحدث إلي لمي بصوت عالٍ وأقول لها:

-لمي يا حبيبتي، مش عايزة تتصوري مع طنط حلا وطنط أمنية عند حائط الورد؟

قالت لمي بحماس وتنظر الفتاتان إلي مُتفاجئتين:

-ايوه ايوه يللا بينا نتصور يللا.

كنت اعلم أن خطتي ستنجح ولن يرفضا طلباً للصغيرة، وسأحظى بتذكار من تلك المُقابلة، أخذت الكاميرة و توجهنا إلي هناك، حائط الورد هو حائط مليء فقط بالورود الوردية اللون، أمامه كُرسياً للتصوير جلست عليه لمي واحتضنتها أمنية من الخلف ووقفت بجوارهما حلا مستندة إلي كتف أمنية بكفها الصغير، انتهينا من اتخاذ الصورة وتوجه مصطفي ليأخذ الكاميرة مني ويطلب من حلا أن يلتقط لها صورة ولكن هذه المرة وهي علي علم بها

ابتسمت وأخلينا لها المكان، جميعنا خلف الكاميرة نُشاهد حلا بفستانها الأسود واقفة خلفها عدد مهول من الورود، تبتسم بسعادة، اقتطفت وردة من الحائط وأخذت أوراقها وألقتهم في الهواء وهي تضحك، لُقطت الصورة وكانت سعيدة بها، وأنا كنت أيضاً سعيد...فأخي كان ينظر إليها بحب!

****

" أمنية "

تباً لهذا القلب الذي لم يقع في حب أحدهم من قبل، حتماً سيوقعني في مأزق يوماً ما..فلو طال وجودنا هنا أكثر سأخبره أنني أحبه..أنا لم أعلم من قبل ما معني شعور الحب هذا! ولكن كان شعوري يريد أن ينطق بها في كل لحظة عيني تحظي برؤيته، أو إن تحدث إلي، كان الأمر شيق وجميل حتي رن هاتف حلا وارتبكت كما شحب وجهها فور النظر لاسم المُتصل، نظرت لها وسألتها بقلق عن المتصل فقالت بصوت مُضطرب:

-محمد بيرن

محمد خطيبها السابق، وما الذي جعله يتصل الآن؟ سأل مصطفي عندما انتبه لتغيُرنا المُفاجئ:

-في حاجة يا جماعة؟

قالت حلا بارتباك وهي تضع هاتفها علي وضع الصامت بيد مُرتجفة وقالت:

-لا لا مافيش حاجة، كنا بنقول إيه؟

عُدنا لنقاشاتنا ولكن كان التوتر قد احتل أعصاب حلا بالفعل، ونجح محمد هذا في تعكير صفو ليلتها الأولي للعودة إلي الحياة الطبيعية والتي يوجد بها مشاعر أخري غير الحزن، كان هاتفها منذ تلك اللحظة يهتز داخل حقيبتها مُعلناً عن اتصال احدهم وذلك كان يُزيد من ارتباكها، قُلت لها أن تري ماذا يُريد بدلاً من ذلك ولم توافق، وبعد استمرار الاتصال قررت أن تُغلق هاتفها تماماً، عندما أخرجته من الحقيبة وجدت أن جارتنا تتصل وليس هو

تعجبنا من اتصالها ولكن استأذنت حلا لتُجيب بالخارج، سمحوا لها فنهضت وتوجهت للخارج وأنا ابتسم لهم بقلق أعلم من نظراتهم لي أنه وصل إليهم أيضاً، كما قالت حلا من قبل..يجب أن يكون أسمه سيد لعنة وليس محمد فقد تبدل الحال من بعد اتصال هذا المزعجّ.

انتابنا جميعاً الرعب عندما وجدنا حلا تهرول الينا باكية، وقفنا جميعاً مُتسائلين ماذا حدث؟ أخذت حقيبتها وأنا أخذ حقيبتي وأمسك بذراعها واسألها:

-إيه اللي حصل يا حلا فهميني؟

قالت باكية:

-شاروو يا أمنية، شارو وقع عليه حاجة تقيله عند هناء وهما بيه دلوقتي عندالدكتور.

لم أشعر بنفسي إلا وأنا اجذب يدها واعتذر منهم جميعاً ونخرج من المطعم، صعدنا السيارة وحاول مصطفي وفارس القدوم معنا ولككني رفضت، كان القلق ينتابهم وأنا أري ذلك ولكن لم يكن لدي الوقت للشرح لهم أن شارو هذا كلب..وانطلقنا بالسيارة مُسرعين.

****

عندما رفضت أمنية ذهاب الشابين معهما، صعدا لسيارة مصطفي وركضا بها خلفهما وبداخل عقولهم الكثير من الاسئلة، قال مصطفي:

-تفتكر شارو ده ابن أخت حد فيهم؟

--مش عارف ممكن، أو ممكن يكون أخو حد فيهم مثلا...بس مين هناء؟

-مش عارف يا فارس انا بصراحة متوتر ومش عارف أفكر، بس باين أنه حد عزيز جداً عند حلا، شوفت كانت بتعيط جامد أزاي؟

قال فارس وهو يعض شفتيه حيرة وتوتر:

-فعلاً، حتى أمنية ملامحها أتغيرت جامد أول ما عرفت وخدتها وجريت..أكيد ده حد مهم أوي ليهم ربنا يستر.

وقفت سيارة أمنية أمام أحدي العقارات الكبيرة وترجلتا منها، فلحقهم الفتيان، تعجبتا من وجودهما ولكن دون جدال توجه الجميع للداخل، وعندما دخل الشابان شعرا بشيء غريب..لماذا كل من بالعيادة يحملون معهم حيوناتهم الأليفة...إلا إذا كانت هذه عيادة بيطرية و شارو هذا...

-كلب!!!!!

صاح الاثنين وحلا تركض إلي سيدة ثلاثينية وتحمل عنها كلباً صغيراً وتحتضنه وهي تبكي، نظرت لهما أمنية وجدتهما في حالة من الدهشة وعدم الاستيعاب، كانت ترغب في الضحك علي منظرهما ولكن توتر

الموقف منعها، كانتا قدميه كسرا ويجبسهما الطبيب، حلا كالطفلة خائفة عليه تحاول التخفيف عنه أثناء عمل الطبيب بتمرير أناملها علي شعر رأسه، يُشاهدها مصطفي ويبتسم، وأمنية تُربت علي ظهر حلا تحاول مُساندتها ويتأمل حنانها فارس شارداً.

كان يوماً مليئاً بالأحداث، الكثير منها يتصف بالمرح واللذة والبعض منها مُرهق ولا يخلو من القلق، كل منهم رحل في طريقه للمنزل، ولكن الأحلام لا تخلوا من الكوابيس...كانت حلا لا تعلم أن بمجرد رجوعها للمنزل وترجلها من السيارة ستجد من يمسك بذراعها بقوة ويصرخ فيها بغضب:

-مابترديش عليا ليه لما برن عليكي، وإيه مخليكي راجعة متأخرة يا هانم يا محترمة.

قُبض قلب حلا عندما رأت محمد أمامها، خلصت ذراعها من قبضته وصرخت فيه بقوة:

-سيب دراعي يا حيوان، أنت مالك ومالي عايز مني إيه تاني مش كفاية اللي عملته، غور بقي غووور.

وقفت بينهما أمنية تُحاول إبعادها عن أنظاره،بينما قال:

- حيوان؟ آه حيوان ... ما ليكي حق، واحدة راجعة 11 بليل هي وصاحبتها وصورتها مالية السوشيال ميديا هتتعامل باحترام مع حبيبها أزاي؟

نهرته أمنية وتحدثت إليه بنبرة حادة:

محمددد، ما أسمحلكش تماماً بكلامك القذر ده، أحنا أشرف من أننا نرد علي واحد زيك مش متربي علي أصول ولا فيه عنده أي احترام تماماً..ثانياً حبيب مين معلش فين خطيبتك تسمع الكلمة دي؟

-وانتي بقي حضرتك البوديجارد بتاعها؟

جذبتها حلا من يدها، ووقفت هي أمامه بنظرة تحدي وقالت:

-مالكش حق تقف قدامي دلوقتي، أتفضل أمشي ومش عايزة أشوف وشك هنا تاني.

--مش همشي يا حلا إلا أما اعرف مين اللي اسمه مصطفي ده؟ و أزاي مارفعتيش عليه قضية لحد دلوقتي؟

-وأنت مالك يا بجح أنت، دي حياتي الخاصة..أنت مش اختارت حياتك اللي تناسبك وكسرتني ومشيت، سيبني بقي يا أخي أبني نفسي من تاني في العيشة اللي أحبها.

قال بعصبية:

-وأنتي مفكرة أني هسيبك ليه يا حلا؟ ولا تكوني صدقتي أني بحب اللي خطبتها دي وهكمل معاها...دي مُجرد قرصة ودن ليكي عشان تتعدلي لكن شكلك ما بتتعلميش بس أنا هعرف أوقفك أزاي بمعرفتي.

ابتسمت بسُخرية ونظرت له بثقة وقالت وهي ترحل عنه:

-اللي ما بيوفيش بوعوده، جبان في تنفيذ تهديده...ماخوفتش منك، اللي عندك أعمله، ومبروك علي الخطوبة.

****

"حلا"

لم أنم في تلك الليلة ولم أستطيع منع نفسي من البكاء، كيف كنت أحبه؟ كيف كان منزلي سيكون سيده هذا الوقح؟ كيف استطاع أن يصفني بذلك السوء، ويعاملني أسوأ؟ كثير من التساؤلات تُمزق قلبي ألماً، الساعة كانت تقترب للثانية صباحاً، أردتُ أن أهدئ من روعي ففتحت اللاب توب واختارت سورة البقرة بصوت الشيخ مشاري راشد واستلقيت علي السرير، بعد دقائق وصلتني رسالة من مصطفي، لم أكن بحالٍ جيد لأفتحها في هذا الوقت، أغلقت إضاءة الشاشة وحاولت جاهدة النوم ولم استطع أيضاً، جلست علي السرير وفتحت الرسالة فأنا فضولي قاتل ولن أهدأ إلا بعد قرأتها

مصطفي:(هتيجي تسلمي عليا في المطار؟)

حلا: "أعذرني يا مصطفي، حقيقي مش هقدر وبلاش تُلح عليا"

مصطفي:(ليه مش خلاص بقينا أصحاب؟)

حلا: "....."

مصطفي بحزن: (أسف، تصبحي علي خير)

حلا: " أسمها أصدقاء..بس أنا بالفعل آسفة مش هقدر أكون معاك في اليوم ده تحديداً، مش هقدر أسيب شارو لوحده وهو تعبان"

صمت طويل...

مصطفي):تمام، خليكي معاه وربنا يقومه بالسلامة، انا مضطر أقفل سلام)

****

لم تكن خطة فارس تقتصر فقط علي أخذ تذكار بالصورة الذي التقطها للفتيات مع لمي، فكانت سلاحاً لخلق حديث مع أمنية علي فيس بوك، عندما قبلت طلب صداقته أرسل أليها رسالة نصية

فارس:(هتدفعيلي تسعة جنيه وسندوتش كبده من عبده تلوث وتاخدي الصورة ولو مادفعتيش في ظرف قرن ونص هنشرها علي النت وأفضحك، ها قلت أيه)

أمنية:"أنت يادوب وقتها تلحق تدور علي قبري تعلقها قدامه، وبعدين ترضاها لأختك يا كابتن؟"

كتب لها وهو يضحك

فارس: (ما هي معاكم في الصورة يا بنتي أنتي شاربة سبانخ علي أخر الليل ولا أيه؟)

ضحكت أمنية وتناست خاتمة يومها المُزعجة، أخذا يتحدثان طوال الليل، لأول مرة تشعر بأن الوحدة والقلب الفارغ لم يكونا شيئاً جيداً مُطلقاً، كان مُجرد اعتياد، علمت بحديثها معه ونبض قلبها السريع، وشعورها بالارتياح والسرور بأن حياتها كانت سوداء وألوانها رمادية باهتة، وأن هناك واحداً فقط من بمقدوره تلوينها بألوان الطيف السبع ، وأن يخلق داخلها من هذه الألوان أعداد كبيرة من الألوان الأخرى، محت كلماته اللطيفة وقاحة كلمات الوقح محمد، كتب لها:

فارس: (بقولك ايه، بما أننا الساعة 4 الصبح والجو لطيف، تسمعي حاجة هادية؟)

أمنية: " حاجة زي أيه؟"

فارس: (في أغنية أجنبية بسمعها دلوقتي، مش عارف تعرفيها ولا لأ بس أنا هسمعهالك أستني.)

ابتسمت أمنية ولمعت عيناها عندما بعث لها باسم الأغنية، وكتبت له بسرعة وحماس:

أمنية: " الله، a whole new world انا بحبها أووووي"

فارس: (بجد! طيب يلا شغليها دلوقتي، أنا كمان هشغلها تاني...هعمل قهوة وأرجعلك نسمعها سوا)

أمنية: "قهوة ليه دلوقتي؟ مش هتنام؟)

فارس: (لما أرجع هفهمك، دقيقتين بالظبط وراجع)

ذهب وذهبت بعقلها معه، وجدت نفسها تتجه للشرفة وبأذنها سماعة الرأس الخاصة بها موصلة بالهاتف عبر البلوتوث، قامت بفك رابطة شعرها وجعلته حراً طليقاً يستمتع ببرودة الصباح كاستمتاعها بها أيضاً، لم يمر الكثير من الدقائق ووجدته يرسل لها برسالة:

فارس: (أنا جيت،...يللا شغلي الأغنية)

أمنية: " حاضر، شغلتها"

كم من مرة سمعت نفس اللحن ونفس الكلمات، وشعرت بشعور جميل معهما، ولكن هذه المرة الأولي التي تطير بها الموسيقي، وتحتضنها الكلمات، وتشعر بقلبها يرقص معها.

كان فارس يقصدها بالكلمات ولكن سيكون سريعاً للغاية إن صرح لها بذلك، فأكتفي بأن يسمعها وقت مُحادثتها، كتب لها:

فارس: (أنا بقي يا ست البنات، صاحي ومش هنام لأني هروح مع مصطفي نخلص شوية حاجات للسفر...صحيح هو أنا ممكن أطلب منك طلب؟)

6

"أمنية"

أقلقتني رسالته وأخذتُ أفكر، فيما سوف يكون هذا الطلب! بعثتُ له بسؤال:

أمنية:"علي حسب نوع الطلب، فهو عبارة عن أيه؟"

فارس:(بصي هو أظن أنه سهل عليكي، كنت عايز أنك تقنعي حلا تيجي المطار تسلم علي مصطفي قبل ما يمشي...ممكن!)

تعجبت، ما معني أن أقنعها؟ لما قد لا توافق؟..لما ستوافق من الأساس؟ ما هذا الغباء، شيء بديهي أن ترفض، مصطفي لازال شخصاً غريباً، وإن قبلت بعزيمة أهله لا يعني أن تقبل بأي شيء وكل شيء...ولكن ما المشكلة في توديعه في المطار! كان التفكير يأكل عقلي بتناقضه، ولا أفهم هل علي حقاً إقناعها أم أنساق لرفضها؟ طال صمتي فقال:

فارس: (أمنية!! مش بتردي ليه؟)

أمنية:" بصراحة مش عارفة يا فارس بس هحاول معاها حاضر، هو معاد الطيارة أمتي؟"

فارس:(9 الصبح)

****

قالت حلا بوهن وهي واضعة رأسها أسفل مياه الصنبور، كعادتها تُطفئ اشتعال عقلها بالماء الجاري:

- كفاية يا أمنية جدال بالله عليكي أنا تعبت، طول النهار مالكيش غير سيرة واحدة وهي أني أروح المطار...أروح ليه؟ بصفتي أيه؟ أنا محتاجة أرتاح وأهدي وأكون كمان جنب شارو.

تحدثت أمنية وهي تلوح بالمنشفة التي بيدها:

-يا بنتي وفيها إيه لما تروحي؟ إحنا أتعرفنا علي الناس، وهما مُحترمين جداً مش هيشفوها بصورة غلط أكيد...مصطفي طيب ومتوتر لأن دي أول مرة يخطي خطوة زي دي، وهو مُتفائل بوجودك هي دي الفكرة فماتنكديش عليه بقي في يوم زي ده، وإن كان علي شارو فأنا هكون معاه ماتقلقيش.

أغلقت الصنبور، ورفعت رأسها، نظرت لها بعصبية وقالت والماء يُبلل ملابسها بسقوطه من شعرها:

-وأنا مالي...أنا مالي بيه، كل شوية حلمه حلمه، وأنكد عليه إيه!، انا مالي أنا.. مش عايزة أكون مصدر سعادة لحد، مش عايزة أكون في حياة حد، ومش عايزة حد في حياتي، كفاية لحد كده انا مافيش فيا روح تاني، أنا عايزة أبقي لواحدي...هكون سعيدة كده...خد الصورة وبيحقق حلمه خلاص يفكه مني بقي.

صُدمت أمنية من حالها المُتبدل والغير مُتوقع بعد عشاء الأمس، وحديثها اللطيف طوال الطريق عن مصطفي، كيف تبدل الحال في تلك الساعات ولماذا؟

أعطتها أمنية المِنشفة فاختطفتها من يدها ودخلت إلي غُرفتها ، أغلقت الباب خلفها، ظلت واقفة أمنية بالخارج تنظر للباب وتفكر، في الداخل كانت حلا دافنة رأسها المُبلل في السرير تبكي بغزارة، تتألم وتلوم قلبها علي شعوره الجميل الموجه إلي مصطفي، ظهور محمد ليلة أمس جعلها تُدرك أنها فقط في حالة احتياج لمن يُضمد جروح روحها من بعده، ووجود مصطفي ولُطفه هم مُجرد مُسكن لآلامها واحتياجها، هي لازالت بقلب مُنكسر، خائف، فاقد الثقة...جميعهم ككأسٍ من السُم يبهرك مظهره الخارجي، تحتسيه دفعة واحدة فيؤلمك بمرارته بالبطيء لتهلك في النهاية...

علي صوت بُكاءها فسمعته أمنية، دلفت إلي الداخل بسرعة وجلست بجوارها، تُربت علي ظهرها وتسألها عما بها ولا تستطيع الإجابة بسبب بكاءها، أجلستها أمنية واحتضنتها، بقيتا هكذا أكثر من عشرة دقائق حتى هدأت حلا وجلست أمام أمنية ومسحت دموعها بكفيها الرقيقتين

-ممكن بقي تقوليلي مالك؟ ما أصل التحول المُفاجئ ده أكيد ورآه حاجة.

حكت لها عما يشغل بالها، وما يؤلمها، فابتسمت أمنية بحنان وقالت:

-بصي يا حلا، مش هقولك غلط اللي قولتيه، بلعكس أنتي ليكي حق..وحق كبير كمان، أنتي تعبتي، وأتلعب بقلبك كتير لأنك طيبة وقلبك سهل يتعلق بحد، أينعم أخر مرة محمد طلع عينيه لحد ما قدر يخليكي تحبيه وتقبلي تتخطبوا، بس هو كمان كان درس واختيار خاطئ، الاختيار الغلط مش بيجي يقفلنا من الدنيا..هو بس درس يعلمنا أزاي نختار صح ومانتغشش....مش بقولك قربي من مصطفي وحبيه، أنا ماعرفش مصطفي، وماينفعش أدعوكِ لده مع أي شخص؛ لأن قلبك وعقلك هيكونوا

أدري أيه الأنسب ليكي...بس كل اللي هقوله ليكي أنك لازم تُخرجي للدنيا، ماينفعش تقفلي علي قلبك، عيشي كل لحظة كأنها هتنتهي دلوقتي ومافيش بعدها...

تنهدت حلا بقوة وأغلقت عينيها، وقالت بصوت عالي:

-ياارب، عدلها من عندك بقي.

-هيعدلها يا حلا صدقيني،...يلا قومي عشان تنامي، واللي لما تصحي تحسي أنك عايزة تعمليه أعمليه.

--ممكن تباتي معايا؟

ضحكت أمنية بحنان وقالت:

-حاضر، بس هتعشيني، اتفقنا؟

أحتضنتها بقوة وابتسمت:

- اتفقنا.

الساعة كانت 7 مساءاً عندما نامت حلا، حتى الثانية صباحاً كانت تتجول أمنية في الشقة تتحدث إلي فارس، استقرت علي أريكة كبيرة في الصالون، تمددت عليها وكتبت:

أمنية:"والله أنت مجنون يا فارس بجد أنت وصاحبك أسامة ده، حد يكون في سنكم يلبس كده؟"

فارس:(كنا بنحاول نفرفش مصطفي، كل طرقنا في أننا نضحكه فشلت فكانت دي الطريقة الوحيدة اللي باقية لينا)

أمنية:"لا بس مسخرة بجد أنا لو كنت شوفتكم ماكنتش بطلت ضحك"

فارس:(ياريتني كنت لبست كده وانا نازل الصيدلية ياريتني)

تساءلت بتعجب:

أمنية:"إيه ده!إليه؟"

ابتسم وكتب:

فارس:(عشان أشوفك وأنتي بتضحكي)

نظرت للجملة وأحمر وجهها، كأنها سمعتها منه ولم تكن مُجرد أحرف مَكتوبة، خرجت بعيداً عن نطاق الموضوع فلحقها قائلاً

فارس:(سؤال والله ومش معاكسة والهبل ده بس عندي فضول، هو أنتي عارفة أن ضحكتك حلوة؟ يعني لما بتسمعيها أو بتشوفيها في صورة ليكي بتقولي الله زينا كده؟)

كادت تغلق الهاتف وتدفن نفسها داخل الأريكة من الخجل والارتباك، لا تعلم بما تُجيبه، هذه أول مرة يُقال لها هكذا، وأول مرة تشعر بالخجل من كلام أحدهم عنها إلي هذا الحد، قالت بطفولة:

أمنية:(حلا قالتلي أنها حلوة قبل كده، بس أنا ماعرفش هي كده فعلا ولا لا)

فارس بغيرة:(حلا برضه! صبرني يا رب، هو مافيش في حياتك غير حلا؟)

أمنية بابتسامة حزينة:

(ماليش غيرها هي وشارو، أنا عايشة أنا وحلا لوحدنا كل واحدة ليها شقتها الخاصة بس حياتنا واحدة؛ لأن القدر أجبرنا نعيش من غير أهل من بعد ما بباها ومامتها ماتوا، وأنا بابا وماما انفصلوا...)

شعر بالآسي علي حالهم لا يعلم ماذا يقول فوجد ما يُنقذه ليتحدث عنه:

فارس:(شارو...دا شارو ده حكايته حكاية، وأنا اللي بجري بقي وملهوف وعمال أدعي يا رب أستر وجيب العواقب سليمة، ونتناقش انا ومصطفي شارو المهم ده يبقي أبن مين في عيلتكم؛ لكم الحزن والقلق اللي جالكم عليه ده ويطلع كلب في الأخر؟ طيب أدينا أنزار طيب؟ ولا أي حاجة.)

ضحكت بقوة وقالت خاتمة كلامها معه عندما وجدت أن الوقت تأخر:

أمنية:"اهو الكلب ده العيلة والحبيب والطبيب النفسي والدوا بالنسبة لحلا، زائد أني بحبه جداً، المهم أنت لازم تنام عشان الوقت أتأخر وأنت هتصحي بدري"

فارس:(حاضر هنام..هي حلا جاية؟)

قالت أمنية بحزن:(والله يا فارس مش عارفة أقولك أيه، بس سيبها علي الله"

أغلقا ومن الإرهاق نامت أمنية مكانها، استيقظت علي صوت غلق باب الشقة، نظرت حولها فوجدت نفسها في شقة حلا وعلي أريكة الصالون يصلها ضوء الصباح من الشُرفة، دخلت غُرفة حلا فلم تجدها، شكت في شيء فبحثت عن هاتفها لتتصل بها، وجدته علي الطاولة أمامها وهناك ورقة بيضاء ملصوقة عليه كُتب عليها بخط حلا

(قررت أني أعمل بناصحتك يا ماما أمنية، وأعيش كل لحظة كأنها الأخيرة...ماتقوليش لفارس أني رايحة المطار، ماتنسيش تدي الدوا لشارو...I love you)

****

"مصطفي"

أنا في غاية السعادة اليوم هو البداية، الطريق الذي مهدتُ له ها هو اليوم يحمل أولي خطواتي، أشعر بقليل من التوتر ولكن لا بأس فأنا بحاجة إلي بعضاً من الإثارة، الجميع حولي سُعداء وفخورين بي، أبي وأمي، فارس وأسامة..سأفتقد الجميع كما أنني سأفتقد لمي الشقية...أنا أكذب...أنا سعادتي غير مُكتملة وأحاول تفادي هذا الشعور ولا استطيع..كيف لها أن تفضل كلب عني؟ نعم أنا لست شيئاً بالنسبة لها، ولكن هذا لا يُعطيها الحق بأن تجعلني أقل اهتماماً من حيوان!

أخذتُ حقائبي من فارس وأسامة، قبلت أيدي والداي، وعانقت أشقائي، وبكيت بين ذراع صديقي، أدرت لهم ظهري وخطوت تجاه صالة الدخول...توقعت أن تكون تلك أكثر الخطوات سعادة في حياتي، لم يُخيل لي أبداً أن أخطوها وداخلي شعور بالوهن والحزن...

في مُنتصف الطريق سمعت أصوات كثيرة تُناديني التفت لأجدها واقفة بجوار أمي تلوح إلي بيدها ببهجة وتوتر كأنها سعيدة بالتفاتي وجميعهم ينادوني معها، لم أصدق، ركضت إليهم ووقفت أمامها نلهث، مُبتسمين ولهفة نظرتها جعلتني أُدرك أن هذا يجب أن يكون حلماً، سألتها بعتاب:

-أنتي ماجتيش ليه؟ خلتيني زعلت.

ضحك الجميع، وأجابت:

-أنا جيت يا مصطفي علي فكرة! يعني مش المفروض تزعل.

ابتسمت بسعادة وأنا أحك رأسي بخجل، وأنا اللوح لهم بيدي الأخرى قبل أن أتنهد وأركض؛ لأمحو خطواتي الحزينة السابقة وأقول لعقلي ما يشعر به قلبي الآن: (لقد وقعت في الحب).

هكذا اكتملت سعادتي، هكذا كانت رحلتي كاملة يتخللها عدد وفير من الابتسامات، تعلم قلبي الطيران، والركض، والرقص، وكل شيء نمطه سريع، اليوم الأول لي في أوكرانيا كان لا يختلف كثيراً عن توقعاتي، وأستطاع عقلي أخيراً رسم شيئاً جميلاً من الخيال ينضم لواقعي، عندما وصلت حدثت والداي لأطمئنهما ، ومن ثم توجهت إلي الفندق مع المُرشد الذي عُينَ خصيصاً لاستقبالي أنا وباقي الأعضاء، تعارفنا كفريق فائز بمنحة سيكون له الكثير ليتعلمه في مدة ثلاثة أشهر

نعم سنتنافس لإظهار أفضل مما لدينا ولكن يجب أن نتعاون في النجاح والود وهذه الشروط، أنا وفي حالتي هذه أحب كل العالم بدايةً من اليوم، بعدما تعرفنا علي الخطة التي سنسير وفقاً لها ذهبنا لغُرفنا لنستريح، كانت غُرفة مُريحة مُجهزة بسبل للترفيه والراحة لم أنتبه لها أكثر من انتباهي للمناظر الطبيعية الخلابة التي رأيتها من شُرفة الغُرفة....كان يوماً مُرهقاً والمحبب لقلبي إرهاقه ما دمت أنا من أختار هذا التعب فسيكون جميلاً.

****

"حلا"

الصمت لُغة، النظرات لُغة..والبكاء عتاب واستغاثة فُيعد أيضاً لُغة، أما الاشتياق فهو اللغة الأم للقلوب العاشقة، تُغني به القلوب في القرب فيكون الاشتياق ليس فقط درساً خصوصياً للبُعد، وتثور به القلوب مُعلنة تمردها واستيائها في البُعد، هذا ما استنتجته منذ رحيل مصطفي عن موطنه داخلي...نعم فهذا هو ما استنتجته، أنا أتشاقه، ابتهج في مُحادثته ولا ارغب في إنهاء كلماته المُرسلة لي عبر الفيس بوك كل ليلة، أشعر بأنني جميلة عندما ينطق أسمي، اعد الأيام لرجوعه

إذاً أنا خصصت له عرشاً داخلي، مر علي سفره أسبوعان...أليس هذا بكثير؟...أم أنه قليل جداً ليتعلق قلبي به إلي هذه الدرجة؟ كُنت جالسة علي كرسي مكتبي شاردة، فزعني دخول محمد دون استئذان وجلس أمامي ووضع قدم علي الأخرى، رمقته باشمئزاز وأنا أفزع به:

-تقريباً طنط ماكانتش فاضية تعلمك تستأذن قبل ما تدخل، أو معلش يمكن غيروا قواعد الأدب وأنا عشان مش مُحترمة ماعرفهاش.

اعتدل في جلسته وابتسم إلي بسماجة، قال بهدوئه المُستفز:

-خلاص بقي يا حلا قلبك أبيض، كنت متعصب فعلاً...أعمل إيه يعني في قلبي اللي بيغير عليكي؟

ضحكت بسخرية:

-أنت عبيط يا محمد؟ أنت مفكر كلامك ده هعديه؟ وغيرة أيه اللي بتتكلم عنها؟ دي أفورة يا راجل، الغيرة دي مُسمي مالهوش قيمة...مش ده كلامك؟

عقد حاجبيه وحاول تمالك أعصابه وقال:

-كنت غلطان يا حلا، ارتاحي بقي كنت غلطان...وفهمت وحسيت بإحساسك مش ده اللي كنتي بتسعي ليه؟

-بس ماحستش وجع القلب، والعياط بالساعات اللي بيخلص علي دموعك ويصدعك بشكل لايُحتمل عشان صعبان عليك نفسك، ماجربتش حرقة القلب مع كل كلمة مبروك بتقرأها علي صورة خطوبة اللي دبحك بسكينة تلمه في خلال 24 ساعة، ما جربتش الخذلان والضغط الواطي، والخنقة والحبسة، وسواد العيشة لمجرد إن حد خد قلبك وحبك وكل حاجة حلوة جواك وهرب يديها لحد تاني، وكل ده عقاب علي حبك ليه...أنت مت من الدنيا من أول ما مت من جوايا، خبر خطوبتك ده كان نعي وفاتك بالنسبالي يا محمد...اتفضل أخرج برا المكتب حالاً بدل ما أطلبلك الأمن.

-أنتي بتهددديني يا حلا؟

--عادي بتعلم منك..

قال بغضب قبل أن يخرج ويصفع الباب خلفه بقوة:

-الظاهر أن لا بالقوة نافع ولا باللين، بس أنا عارف هجيبك أزاي يا حلا...ولو ماجبتكيش مش هسيبك تعملي اللي في دماغك برضه.

زفرت بعصبية ونظرت للساعة فوجدتها الخامسة إلا 20 دقيقة، هاتفت أمنية:

-أيوا يا أمنية

--مال صوتك؟

-قابليني في استاربكس، أنا متضايقة..

--حاضر أمتي؟

-أخرجي دلوقتي عشان تلحقيني.

أغلقت الخط وخرجت من الشركة في موعد انتهاء العمل، ذهبت إلي استاربكس ووجدت أمنية تنتظرني هناك قَلقة، جلسنا وطلبنا قهوة وبدأت الحديث..

****

-بقولك إيه يا فارس

كان يجلس بجوار والدته علي الأريكة يُشاهدان فلم رعب مُغلقين الإضاءة لإضافة جو من الإثارة، لم ينظر لها وأجابها وهو مُستمر في أكل الفشار:

-نعم يا ماما!

--هو أنت وأخوك هتفرحوني أمتي؟

نظر لها وقال بتلقائية:

-إيه ده يا ماما؟ هو أحنا مقصرين معاكي في حاجة؟ مش لسه جايبنلك كيتشن ماشين في عيد الأم اللي فات عشان تعمليلنا البيتزا والدوناتس؟ أنتي بقي اللي مش هتفرحي كرشنا وتعمليلنا بيه البيتزا مرة واحدة قبل ما أموت؟

لكزته في ذراعه وقالت:

-يا ابني بطل الطفاسة اللي فيك دي، أنا مش قصدي كده، أنا أقصد تتجوزوا وأشوف عيالكم قبل ماتقصفوا عمري وأنا اللي أموت.

ترك طبق الفشار وقال لها بمرح:

-أه يا لئيمه، يبقي عندك عرايس لينا ومخبية.

قالت بلهجة خبيثة:

-لا يا روح أمك أنتم اللي مخبين عني مش أنا.

تصنع السعال وقال بمزاح:
-آه قلبي، احم احم ..سوري يا ماما كنتي بتقولي حاجة؟

--كنت بقول يا نن عين ماما أن تلخص أنت وأخوك وتخطبوا بدل الدلع؛ أنتوا مابقتوش صغيرين، أول ما أخوك يرجع تحددوا معاهم معاد، وبعدين تستنوا ليه أصلاً البنات قمرات ومحترمين وزوق؟

تظاهر بعدم الفهم:

-بنات مين يا ماما؟

--اللي مسميها علي تليفونك ست البنات هي وصاحبتها يا حبيبي.

الأمهات دائماً حدسهم يشعر بما يجول في خفاء قلوب الأبناء التائهة، ودائماً ما تُشير إلي المرسي بخبراتها، فلا تُحاول المُزاولة معهن فحتماً سيُكشف أمرك كما حدث مع فارس الذي القي القبض عليه من قبل سُلطات الأم والتي لم يقدر علي الإنكار أمام اتهاماتها، فأعترف بكل شيء وأي شيء حتى أنتهي التحقيق بحكم محكمة قاضيها مُبتسمة الآن وتأمر:

-لما تكلم أخوك، أبقي شوف دنيته أيه، وظبط الأمور معاه، ولينا قاعدة تانية إن شاء الله؛ أعرف منك وصلتوا لأيه عشان لو كده أكلم أبوكم في الموضوع.

ذهبت الأم لتخلد للنوم، والتقط فارس هاتفه، جلس علي سريره وأتصل بمصطفي أتصال صوتي علي فيس بوك...

****

"مصطفي"

بعدما بعثت لها بأخر صورة التقطها لتخبرني بانبهارها الذي اصبح مصدر الهامي أنها جميلة جداً، وجدت ردها غير مُريحاً ولا أفهم لماذا؟

حلا:"امممم، حلوة الصورة،..بس مين دي؟

مصطفي:(دي واحدة من سُكان أوكرانيا)

حلا:"ما انا عارفة علي فكرة، ايوه تبقي مين يعني؟)

مصطفي:(بيقولك أن أجمل نساء العالم موجودين في أوكرانيا، أتطلب مننا مشروع جديد، أن بنات أوكرانيا أصلاً جُمال جداً، فهما عايزينا نبرز جمال أكتر فيهم من خلال صورة، يعني البنت من دول تبقي بتنور أصلاً وأنت مطلوب منك تخليهم يمسكوا الصورة يقولوا لا الجمال ده أزيد من جمالها الطبيعي...بس يا ستي فدي شوفتها في شوارع أوكرانيا وطلبت منها أصورها وفهمتها ووافقت..)

حلا:"آه، تمام...هي البنت جميلة فعلاً"

ضحكت، فأنا أظن أنني علمت ما الذي يحدث..أظن، غير مُتأكد.

مصطفي:(طيب وليه مش يكون أنتي شايفاها بعنيكي عشان كده شوفتيها حلوة؟)

حلا:"لا حلوة إيه، مافيش أحلي من بنات أوكرانيا!"

تأكدت فأرسلت لها رسالة صوتية ولم استطع منع ضحكاتي من أن ترسل مع كلماتي لها

(حضرتك أنا أصلاً أقنعتها أني أصورها بصورتك، عارفة قالتلي أيه بعد ما شافتها؟ قالتلي موافقة جداً بس طلعني حلوة زي اللي في الصورة دي...بنات أوكرانيا عايزين يبقوا زيك)

حلا:" يا سلام! وأنت بتضحك ليه أنت دلوقتي أصلاً؟"

سجلت لها رسالة صوتية وأنا أقرأ لها رسالتها السابقة بطريقة غيرة فُكاهيه

مصطفي: (لا حلوة إيه، مافيش أحلي من بنات أوكرانيا!)

حلا:" بقي أنا بتكلم كده؟...ماشي ماشي، طب علي فكرة بقي الصورة مش حلوة"

وجدت فارس يُهاتفنى علي فيس بوك، فاستأذنت منها لأحادثه وأعود لها، أجبته مُشتاقاً:

-أخويا الرخم اللي واحشني.

أتاني صوته المُبتهج:

-يا مصطفي ياللي ناسيني

--يا عم ناسيك أيه بس، دانا في الأسبوعين اللي قعدتهم هنا ماشوفتش منك اتصال غير مرتين، يا أبني لو عليا فلوس ليك قول ماتتكسفش..

ضحكنا وسألته عن أحواله رغم أنها وصلتني من نبرته، تكلمنا في أشياءٍ كثيرة وفي مُنتصف الحديث سألني:

-بتكلم حلا؟

--غريب السؤال ده، بس أه بكلمها، ليه بتسأل؟

-مش هسألك علي حاجة بس هقولك كذا حاجة، أنا أتعلقت بأمنية وأقدر أقول حبيتها، أمنية جميلة جداً، جواها طيب...زي حلا، جواها أحلي من اللي أنت شايفه بره بس يمكن لسه ماظهرش ليك..بقولك ده ليه؟ عشان أنا أتكلمت مع أمك واتفقت معاها أن مع نزولك مصر هخطب أمنية...فلو حاسس حاجة ناحية حلا يا مصطفي، حاجة صادقة مش مُجرد تجربة بتحاول تلاقي فيها ندي الله يرحمها، يبقي أنوي بجد علي أنك تخطبها لما تنزل..ولو مشاعرك مش حقيقية يا مصطفي أبعد عن حلا..

-إيه يا فارس الكلام الغريب ده؟ أنت ليه بتقول كده؟

--بقولك عشان أنت أخويا وحافظك وحافظ تجاربك، كنت بتعاطف معاك كل مرة لما ترتبط بواحدة وتسيبها عشان مش قادرة تعوضك عدم وجود ندي، بس المرة دي حلا تخص أمنية، واللي يخص أمنية يخصني....حلا ما تستاهلش منك أنك تأذيها، فكر في كلامي وهستناك ترد عليا، يلا هقفل أنا وبكره هكلمك أطمن عليك.

أُغلق الخط وفُتحت معه بوابة عبور لطوائف كبيرة من الذكريات والتساؤلات، أحقاً مشاعري صادقة تجاه حلا؟ أم أنها أسمٌ جديد في قائمة لا جدوى من وجودها إلا الألم والخذلان؟

حلا:" يا جماعة ياللي في الطيارة أنا أتناسيت هنا، كل ده بتتكلموا؟ أنتوا بتحرروا القدس مش بتسلموا علي بعض"

مصطفي:(أسف يا حلا، أنا محتاج أنام دلوقتي، تصبحي علي خير)

حلا:" مصطفي! مالك؟ فارس قالك إيه غيرك كده؟"

مصطفي:(قلتلك يا حلا محتاج أنام، مش أكتر)

وصلني شعورها بالحزن والقلق بعدما كتبت:

حلا:"تمام يا مصطفي، أتمني تكون فعلاً بخير...الصورة فعلاً حلوة أنا كنت بهزر، أبقي طمني عملت أيه بكره في تسليم المشروع)

****

في اليوم التالي، وفي وقت القيلولة يرن جرس المنزل، يخفض صوت الأغاني فارس ويُجيب والدته بصوتٍ عالي:

-حاضر يا ماما هفتح أهو...

توجه إلي الباب ويردد:

-حاضر حاضر مين؟

فتح الباب وصعقته المُفاجئة، فزع قائلاً:

-مصطفي؟!

7

"فارس"

وقفت أمام الباب في حالة صدمة ورعب، أنظر لمصطفي الراسخ أمامي شاحب الوجه، نظرته غاضبة، عيناه باكيتان، تسمرتُ مكاني غير مُستوعب، ما الذي يحدث؟ ظللنا هكذا لدقائق، ننظر لبعضنا بصمت، سمعت صوت أمي تناديني من الخلف مُتسائلة:

-مين يا فارس اللي كان بيرن الجرس؟

صرخت عندما وقعت عينيها علي مصطفي، آتت نحونا بخطوات سريعة إليه وسألته:

-مالك يا حبيبي في إيه؟ وإيه اللي جابك دلوقتي؟

دفن رأسه بين ضلوعها وخارت قواه، أجهش بالبكاء وأمي تضمه لها بقوة وتسأله بريبة:

- مالك يا حبيبي؟ اهدي بس وقولي في إيه؟ فهمني طيب، اهدي عشان خاطري قطعت قلبي عليك قولي في إيه وريحني

صوت بُكاءه يعلو، وقلبي كاد ينقلع من مكانه، ابتعد عن أمي وركض لغُرفته وأوصد الباب خلفه بالمفتاح، ونحن خلفه نسأل عما به ولا يُجيب، ظللنا هكذا أكثر من نصف ساعة، نسمع نهنهته وبكاءه الشديد ولا يسمح لنا

بالدخول، أتي والدي فور اتصال أمي وإبلاغه عما حدث، وقفنا ثلاثتنا نُحاول أن نجعله يفتح أو علي الأقل يقول شيئاً ولا جدوي...

الساعات تمر ببطء شديد والموقف يزداد حرجاً، أقترح والدي أن نتصل بأسامة لعله يعلم شيئاً أو أن بإمكان مصطفي الحديث بوجوده، حادثته وبعد ساعة وصل هَلِعاً...ماذا يحدث؟ سأل، هذا ما نُريد أن نعلمه يا أسامة أجبت...

كانت أمنية تتصل بي كثيراً خلال اليوم والأمر لا يسمح بأن أُجيب علي اتصالاتها، في الغالب ستقلق ولكنني مُضطر الآن لإغلاق هاتفي؛لأصب تركيزي علي مصطفي الذي حل الصمت داخل غُرفته، وغالباً أهلكه البكاء حد النوم...

****

"حلا"

ما لا تعلمه عني، إن تعلقت بشيء ما قلقتُ بشأنه كثيراً، رغم أن لا يمكن أن يكون القلق من شيم من يعملون في مهنتي تلك، بقيت مُستيقظة أفكر حتى حلول الصباح، من حسن حظي أن الصباح أتي بيوم الجمعة معه، فلن يكون اليوم عمل مُرهق، تذكرت أن الجمعة أولي جدول حفلات الأسبوع التي أعزف فيها، وموعد الحفل اليوم في الساعة الخامسة...

أزداد عبوسي؛ فليس لدي طاقة اليوم للعزف....أنا متوترة وعقلي لم يأخذ راحة ولو قليلة من التفكير في سبب تغير مصطفي المُفاجئ ليلة الأمس، قضيت ساعاتي الأولي من الصباح في الذهاب للركض و النادي، وبعد الانتهاء استحممت وجهزت الغداء قبل قدوم أمنية لنأكل سوياً كعادة كل عُطلة نهاية الأسبوع ولكنها تأخرت في القدوم، الساعة أصبحت الثانية والنصف وأمنية لم تأتي، هاتفتها ووجدت الاتصال مشغولا، توقعت أن

لديها اتصال من فارس فتركتها علي راحتها، جلست في غُرفتي أقرأ قليلا حتى تأتي، جذبتني القراءة وتنبهت أنه قد مر وقتٌ طويل، نظرت للساعة وجدتها الثالثة وعشرون دقيقة فاندهشت أن مر كل هذا ولم أنتبه إلا الآن! بل والاهم من ذلك لا وجود لأمنية، توجهت لشقتها وطرقت الباب بقلق، بعد دقائق فتحت لي وملامح القلق تستقبلني من وجهها، دخلت وأغلقت الباب خلفي وسألت:

- انا مستنياكي من ساعات والغدا برد وأنتي ماجتيش! وبرن عليكي مشغول، في إيه؟

--فارس يا حلا

-ماله فارس؟

جلست علي كرسي كان بجوارها وقالت:

-برن عليه من الصبح مش بيرد عليا، ومرة واحدة قفل تلفونه ومش عارفة أوصله، ومش فاهمة في إيه..

--عادي يا أمنية ممكن مشغول ولا حاجة، أو مش سامع التليفون أو فصل شحن..

-مش سامعه لأكتر من 30 رنة؟ أزاي بس؟ أكيد في حاجة أنا قلبي مش مطمن.

--أنتي اتجننتي يا أمنية؟ 30 رنة!! أنتي عايزاه يقول عليكي أيه؟ وليه أصلا القلق ده كله علي الفاضي...أهدي كده وهو أكيد لما يخلص يكلمك.

- طيب أنتي كلمتي مصطفي النهاردة؟ يمكن عارف حاجة مثلاً

-- مصطفي إيه اللي مسافر ويكون عارف حاجة إحنا اللي في مصر ماعرفنهاش، وبعدين مصطفي النهاردة عنده تسليم مشروع فأكيد مش فاضي...

صمتت للحظة عندما تذكرت المشروع، كان من المفترض أن أفتح فيس بوك من الصباح الباكر اطمئن منه عما حدث، صفعت جبيني وأنا أصيح:

- يا خبر أبيض، المشروع، أنا أزاي نسيت أفتح أطمن! ده كده هيزعل مني

تساءلت أمنية:

-هو المشروع كان هيتسلم الساعة كام؟ يعني لو مش بدري أوي تلحقي تكلميه.

--الحق إيه دا الساعة 9 يعني بتوقيتنا 8، شوفي بقي الساعة كام معاكي، فرق ساعات كبير...تعالي معايا نتغدي وافتح اكلمه ويمكن نعرف منه أي معلومة عن فارس.

في شقتي جلسنا علي الطاولة ومن القلق لم نبدأ في الأكل، فتحت الفيس بوك وقبل أن أُرسل لمصطفي وجدت رسالةً منه، تعجبت من أنه أزال صورته الشخصية؛ فهي غير ظاهرة في خانة الرسائل، فتحت الرسالة، قُبض قلبي، تعلقتا عيناي بالشاشة وامتلأتا بالدموع، كل ما بي يتألم مع كل كلمة أقرأها مُرسلها يكون مصطفي، انتهت الرسالة وأنهت معها كل سبباً لبهجتي في الأيام الماضية

انتهت ولم أفهم سبب هذا الألم وسبب كلمات لم أستوعب أنها مُرسلة لي، حاولت أن ابعث له برسالة لأسأله لماذا؟ ولكن لا تُرسل...فأدركت في لحظة طعنتني في أخر جُزء كان ينبض في أن صورة مصطفي لم تُزال، بل أن الحظر الذي فعله لي من محاني بابهم الطرق وأقذرها.

كانت أمنية تسأل بخوف ماذا هناك؟ لما ارتجف؟ لما تنهمر دموعي بصمت؟ ولا أُجيب، جذبت اللاب توب لها وقرأت رسالته

(كنت حابب أعتذر ليكي، مش علي طريقتي أمبارح زي ما أنتي متوقعة..أنا حابب أعتذر علي دخولي حياتك وانتهاكي خصوصيات مش من حقي، وقصاد ده هعتذر لنفسي علي الأمان اللي ماكنش في محله معاكي، وعلي تعلقي بشخص متعلق بشخص تاني ومقربني ليه بس عشان يكسرني الكسر اللي يعملي عاهة مُستديمة، عرفتي تلعبيها صح وتاخدي حقك مني بطريقة قتلتني بدل المرة ألف وكلهم بخبطة واحدة....

كانت أول مرة أتأكد من مشاعري تجاه شخص، وبعد ساعات من تأكدي يغدر بيا...هو أنتي....عملتي اللي عايزاه، ولسه هتكملي...أتفضلي مش همنعك، بس اسمحي لي أنا أمحي كل الحلو اللي عشته من خيالي مخدوع....أنتي أقذر إنسانة عرفتها في حياتي يا حلا)

أمنية كانت في حالة ذهول، تسألني ما هذا الذي يقال؟

صرخت ببكاء:

-مش عارفة يا أمنية، والله ما عارفة، تفكيري وقف، أنا ماعملتش معاه حاجة وحشة، ولا قلت حاجة تضايقه...ليه يقولي كده؟ وكمان يعملي بلوك من غير ما يديني مساحة أفهم أنا إيه تهمتي.

وقفت أمنية واقتربت مني تحاول تهدءتي، أكملت صراخ:

- أنا مش فاهمة حاجة والله ما فاهمة حاجة، وتعبت...ليه الكون كله مُتحالف علي أنه يوجعني أنا مابقاش عندي طاقة يا أمنية...

--طيب ممكن تهدي عشان خاطري ونحاول نفكر بعقل يمكن نوصل لحاجة؟ بصي أتصلي بيه يمكن يرد..

قلت من خلف دموعي:

-مش معايا رقمه، ماتكلمناش تليفون قبل كده.

حكت أمنية جبينها وأخذت تتجول أمامي ذهاباً وإياباً تُفكر، قالت:

-طيب نرن علي فارس نقوله ونفهم منه اللي حصل

أمسكت هاتفها وحاولت الاتصال ووجدت أن هاتفه لم يُفتح بعد، نظرنا لبعضنا في محاولة لإدراك ما يحدث ووجدتني أقول لها:

-تفتكري ممكن يكون فارس مش بيرد عليكي عشان هو عارف في إيه أصلا!!!

جلست مكانها بصدمة ناظرة لي، صمتنا لوقتٍ طويل، وداخلنا صراع كبير، مر الوقت ولم أستطع الذهاب للحفل، لم استطع الخروج من داخل معركتي مع الألم...مرت ساعات اليوم تُمزق عقاربها في قلبي

عزيزي أنت أينما كنت وأنت تقرأ كلماتي الآن حاول أن تتخيل معي أنك أنا...قرأت تلك الكلمات، وقُطعت حولك جميع طرق الوصال لتسأل فقط فيما أنت متهم؟...

كنت من أيام قليلة راقداً أشبه للموتى، وعاد أحدهم ليُعطيك سبباً للحياة، وفجأة بعدما تعلقت بالحياة يُخبرك بأنك ميت لا مُحال...أنت بعد كلماته تمر الأيام وتنبعث رائحة الموت من داخلك، رسم الهم صفاته علي ملامحك، عيناك مُنتفختان من كثرة البكاء، جسدك أصبح هزيلاً من قلة الطعام، حول عيناك أسوداً كظلام القبر الذي دُفنت مشاعرك فيه حية مُنذ أربعة أيام....

لا تتحرك إلا القليل، نائمٌ طوال الوقت؛ هارباً من ألم يُثقل أنفاسك، فقدت شغفك، فقدت قدرتك علي العمل، خسرت حيويتك...

كنت أنا هكذا خلال تلك الأيام الأربع من بعد قراءتي لرسالة مصطفي، لم أذهب للعمل، لم أخرج من غُرفتي مُطلقاً، كانت أمنية تزورني كثيراً وأطلب منها الرحيل...كنت ارغب اعتياد الوحدة، وأحببت أن اترك المساحة للصمت يصرخ من حولي، كانت المسكينة أيضا حزينة، فارس لا

يُجيب علي اتصالاتها منذ ذلك اليوم، لا يري رسائلها له حتى وإن كان مُتصلاً علي الفيس بوك لساعات، لا يقرأهم....

لم تكن تفهم هي أيضاً ما يحدث ولما التجاهل؟

هل هي أيضاً مُذنبة في شيء لا تعلمه؟

كانت تُمارس حياتها الطبيعية فقط حتى لا يكون مصيرها مثلي، رغم أن داخلها مُنهك وحزين...

اليوم أنا قررت....

أنا سوف أعود للحياة بإرادتي، أنا لست ملكاً لألاعيب البشر...هذه المرة سأعود بقوة، سعادتي لن تكن مُرتبطة برجال، حياتي ليست سبيلاً لمن يرغب تقضية بعضاً من الوقت والرحيل وقتما يشاء...الساعة الخامسة صباحاً، بقي القليل وتبدأ ساعات عملي، أمامي ساعتان، وفيهم استحممت وشغلت اللاب توب وصلته بالسماعات الكبيرة، ورفعت الصوت غير مُهتمة لأحد من سكان العمارة، قصصت شعري وجعلته يُجرب الكيرلي لأول مرة، ارتديت قميصٌ لبني جديد

وبنطلون باللون الأبيض كلون حذائي، وضعت أحمر شفاه باللون الأحمر القاتم كلون حقيبتي وانطلقت، من بداية دخولي الشركة وأعين الجميع تتبعني بإعجاب وتعجب في آنٍ واحد، لم يعتادوا مني التغيير في مظهري، وخاصةً إن كان خارجاً عن المألوف هكذا...أنا هادئة وهذا المظهر الجديد يثرثر عن الجمال بكثرة.

علي غير العادة ألقيت التحية علي كل من يُقابلني بابتسامة مُشرقة، دخلت مكتبي وطلبت قهوة، طُرق الباب فدعوت الطارق للدخول:

-أتفضل يا عمو ناصر، أوعي تكون مش بوش المرة دي.

--بس أنا مش عمو ناصر، ممكن أقعد؟..استئذنت المرة دي أهو.

نظرت له بابتسامة تحرقني من الداخل وقلت:

-أكيد أتفضل يا محمد، أطلب ليك حاجة تشربها؟

بابتسامته التي يُحسد من لا يراها، قال بتعجب:

-شكل التغيير مش في المظهر الخارجي بس، غريبة دي بتعامليني كويس المرة دي!

-- وهعاملك وحش ليه خلاص، كل واحد اختار حياته اللي مريحاه، واللي ما بينا كان كويس فنعامل بعض بعدم احترام ليه؟ صحيح أخبار خطيبتك إيه؟

عبس وجهه وقال:

-مافيش وجود ليها حالياً، زي ما ماكنش ليها وجود أساساً جوايا من الأول يا حلا وقلتلك ده قبل كده.

تجاهلت تلميحاته وقلت بتأثُر مُصطنع:

-اووه سوري، يللا إن شاء الله تلاقي حد أحسن منها.

ابتسم بخبث تعجبته ووضع قدمٌ فوق الأخرى، فتنبأت بأنه سيطلق في ملعبي بقنبلة مُسيلة للدموع وقال:

-وياترا بشمهندس مصطفي حالته عاملة إيه من بعد ما لغوا ليه المنحة ورجعوه مصر؟

صحت بهلع وأنا أقف مصدومة:

-لغوا ليه المنحة؟ ليه و أزاي ده حصل وأنت جبت الكلام ده منين أصلاً هو كاتب كده علي الفيس؟

قال ببرود:

-ليه أنتي مش متابعة ولا إيه؟ شكله صدق أن أنتي السبب وعملك بلوك

ضحك وأنا قلبي كاد يتوقف، تابع حديثه:

بس مالهوش حق مش كان علي الأقل يعاتبك قبل ما يعمل كده؟

****

قبل ثلاثة أيام

طرق أسامة باب غُرفة مصطفي وهو يبكي ويقول له وهم جميعاً خلفه بأعين دامعة وقلوب هشمها القلق:

-يا صاحبي وربي ما قادر استحمل أكتر من كده، وغلاوتي عندك تفتح تطمنا عليك، كفاية كده وفهمنا مالك، أو أفتح من غير ما تنطق بس علي الأقل نطمن عليك.

انتظر الجميع بصمت، ربت فارس علي كتف أسامة وبعد لحظات سمعوا صوت الباب يفتح، نظروا له، شاحب الوجه، عينيه تُعلنا باحمرارهما وانتفاخهم عن وصوله لمرحلة قُهر فيها قلبه

-أنا كويس.

قال الأب:

-كويس إيه يا ابني بحالتك دي؟ قولنا مين السبب في اللي أنت فيه ده وأنا اجيبلك أمه تاخد حقك منه بأيدك.

--انا كويس يا بابا، كل الحكاية أني عملت غلطة صغيرة هناك ولغولي المنحة فزعلت، بس أنا دلوقتي كويس أطمنوا.

دخلوا جميعاً لغُرفته يُحاولون معرفة كل شيء ويصر علي الكتمان، استسلم الأب ودعي الأم لإعداد الطعام له فهذا اليوم الثاني له بدون طعام، أخذ فارس ووقفا خارج الغُرفة، وصاه بأن يُحاول استدراجه في قول ما يعبأ به لهذه الدرجة وتركه يدخل الغُرفة ويغلق الباب علي ثلاثتهم

-أسامة عربيتك تحت؟

--آه تحب تروح فين؟

قال فارس:

-إيه ده هتعزموني علي أكل؟

ظهر شبح ابتسامة علي فم مصطفي وقال لهم:

-تعالوا نتمشي بالعربية علي الكورنيش.

قال فارس وهو يجذبه من يده لينهض:

-يللا بينا يا باشا

أخذا سيارة أسامة وصاروا مُسرعين إلي الكورنيش، استقروا في مكان أعجبهم هدوءه، وقفوا أمام المياه والسيارة خلفهم، مُستندين إليها، والكاسيت علي أعلي صوت يصرخ بأغنية من اختيار مصطفي.

* أنا كنت راسم صورة لينا أحلي كتير، في دنيا تانية أنتي ملكة وأنا الأمير

فستان وبدله بلون كسوفك فرحانين، بالنسبة ليا وكان دا حلم السنين..وبقينا فين!! وبقينا فين!

أنسي خلاص كل اللي كان، ضاع حبي ليكي مافيش مكان...*

قال أسامة:

-لا يا مصطفي، أنت سافرت أوكرانيا وزوقك في الأغاني تدني خالص..

لم يُعيره أي انتباه وظل في صمته عاقداً ذراعيه ناظراً للنيل بصمت، وقف أمامه فارس وسأل بجدية:

- مصطفي اللي أنت فيه ده ليه علاقة بحلا ؟

جحظت عيناه بغضب، كأن أسمها جعل الثور الذي بداخله في حالة هياج، قال له بصوت عالي:

-مش عايز أسمع اسمها تاااني

اعتدل أسامة ووقف أمامه أيضا، نظرا إليه كلاهما مصدومين من ردة فعله، سأله فارس:

-أرجوك يا مصطفي تفهمنا اللي حصل... إحنا مش هينفع نفضل كل ده مش فاهمين

نظر لهما بصمت يُجمع أفكاره التائهة، وبعد دقائق قال:

-بعد ما أنت قفلت معايا المُكالمة حسيت أني محتاج أفكر وأقرر هعمل إيه؟ واللي أنا حاسه تجاهها ده صح ولا غلط؟ كانت مستنياني أخلص معاك كلام وأرجع نكمل كلامنا بس أنا كنت أتقفلت وقفلت الكلام معاها بعصبية،

فضلت أفكر أكتر من ساعة ووصلت، أنا فعلاً متعلق بحلا، لاقي معاها الارتياح والبهجة والأمان لكل حاجة، أيوه أنا عايز أكمل معاها للأخر، حابب أشوف ولادي شبهها، قررت أتصل بيك بعد ما أسلم المشروع واقولك أني قد الأمانة وهصارحها في أقرب وقت، كنت فرحان وحاسس أن أخيراً الدنيا ضحكتلي، الساعة دقت تلاتة الفجر ولقيت الباب بتاع أوضتي بيخبط، استغربت وقلت ممكن خدمة الغرف، بس طلع غير كده..

سأل أسامة:

-أومال طلع إيه؟

--طلع الأمن معاهم واحد مسئول وبيقولوا لي أن المسئول الكبير عايزني في اجتماع طارق في مكتب مُدير الفندق حالاً، سألته عن السبب وقال إني هعرف كل حاجة تحت، نزلت وأنا قلقان بس توقعي ماراحش لأبعد من إني هنزل ألاقي باقي التييم...نزلت لقيت المكتب فيه تلت مسئولين والكبير فيهم بيكلمني بغضب ويبلغني أن منحتي اتلغت، طبعاً كنت هتجنن طب ليه؟ انا عملت إيه غلط؟

قالي إن الصورة اللي قدمتها عشان أتقبل في المنحة كانت تعدي علي الملكية الشخصية وأنها متصورة بدون علم صاحبتها، وان خطيبها كلمهم وبعتلهم أسكرين بالبوست ومتضايق ويبلغهم أنهم هيحاكموني ولازم ينزل مصر عشان القضية اللي رفعوها هو وهي عليا...وقالولي أنهم هيحجزولي أول طيارة نازلة مصر وفي خلال ساعات رجعتلكم.

صاح فارس بدهشة:

-خطيبها؟!!

تساءل أسامة:

-وهي ردها إيه علي الكلام ده لما واجهتها بيه؟

نظر له قائلاً:

-ماقدرتش أواجهها بضعفي، ماقدرتش أحسسها إنها نجحت في إني أتكسر بسببها، مش محتاج منها إجابة كفاية قهرتي وحزني.

سأل فارس بغضب:

-أومال هتعمل معاها إيه؟

--بعتلها رسالة تنهي اللعبة وعملتلها بلوك، ومستني أشوف حوار القضية ده، انا مش عايز أعرفها تاني واقفلوا السيرة دي لأني مش قادر اسمعها..

****

-أخلص يا محمد أنطق وفهمني.

--عادي يا حلا، عرفوا أن الصورة متصورة بدون علمك وأنه هيتحاكم فلغوا ليه المنحة.

- بس أنا مش هحاكمه وما اشتاكتش!

--بس أنا اشتكيت..

جلست من الصدمة وصرخت فيه بقوة:

-نعم؟ عملت كده أزاي؟ وبصفتك إيه؟

انفعل:

بصفتي خطيبك، وكان لازم أعقلك وأعقله، عرفت المنحة اللي هو قدم فيها من كومنتات البوست بتاع الصورة، كلمتهم وبعتلهم أسكرين بالبوست وبلغتهم إني خطيبك وان الشخص ده هنحاكمه لأنه تعدي علي حياة خطيبتي الشخصية وبالفعل لغوها ليه وأكدوا لي ده بعد ساعات...

بكت حلا:

-أنت حيووان، ماشوفتش أقذر منك، أنا اللي هقاضيك يا محمد علي اللي أنت عملته...اخرج برا

--اعملي اللي تعمليه، مهما حاولتي هو دلوقتي بيكرهك ومستحيل أصلاً يسمعلك..ماتحلميش بالدنيا الوردي معاه..عشان صدقيني مش هتبقي غير معايا أنا يا حلا..

-اخررررج، اطلع براااا بقولك..

****

"فارس"

ثلاثة أيام تعتصر عقلي التساؤلات، يُمزق روحي فكرة أن تكون أمنية مُشتركة مع صديقتها في تلك اللُعبة الدنيئة، كيف كانت بذلك القلب الرءوف وتسمح لصديقتها أن تفعل ذلك؟ أكنت أنا جُزءاً من هذه اللعبة؟ أكل ما شعرت به منها تجاهي أوهام؟

حلقي يختنق بكلمات بكثير من الغضب، كثيراً ما كنت أدخل الشات الخاص بها وأكتب كثيراً مما يُغضبني وأتراجع في أخر لحظة فأمسحه، أقرر مهاتفتها واقذف في أذنها كل أفكاري وأطلب منها جوابا مُقنعاً، وقبل أن أتصل أغُلق الهاتف بالكامل..

كنت كالمجنون، حائراً أركض في صحراء عقلي لا أجد ما يروي ظمأى للحقيقة، لم أتصور للحظة أن مخلوقتين بهذه الرقة يحملان خلفهما قسوة العالم

أصبحت مُطالباً بأن أُساند أخي في مِحنته، أن أُخفف عنه، وأن ننتظر الشرور سوياً، لا نعلم متي سيأتي استدعاء المحكمة هذا ورغم ذلك ننتظر قدومه عاجلا أم أجلاً... فما يمكن أن يحدث أسوأ من هذا؟

دخلت الشُرفة بثلاثة أكواب من الشاي، وضعتهم علي طاولة صغيرة أمام كرسي أسامة ومصطفي، وجلست علي الكرسي أمامهما، ابتسمت وأنا أسمع دندنة أسامة بأغنية محمد حماقي

* مالوش لازمة العتاب مين فينا حبه أقل، واللي إحنا وصلنا ليه صدقني وضع ممل، كفاية حلول وسط لازم نشوفلنا حل، يا تروح يا انا أروح مالناش قسمة ولا لينا نصيب وبنكدب علي بعض واسمك ليا حبيب، دلوقتي بقيت ولا توحشني لو عني تغيب...

كأني عتشت عمري كل ده ماليش حبيب، مللي حصلي باين كده مافيش نصيب، ياقلبي ياللي ظالمك تملي، ودايما باجي عليك أاااه، لو فاكره لسه يا قلبي أنسي وأنا اللي يوم هداويك*

صوت أسامة الجميل دائماً ما يجعلني أشرد، لكن هذه المرة كان صوته يُقظ إحساسي بكم الحب وكم الغضب والحيرة داخلي، والكلمات أخذتني بعيداً، شردت لفترة حتى عُدت علي سؤال مصطفي الذي لم أجد إجابةٌ له:

-هو أنت متأكد أن أمنية كمان بتحبك؟ ولا إحنا الأتنين في نفس الخانة؟

8 والأخير

صعدت حلا سيارة أمنية وهي تبكي، تسألها أمنية عن سبب بكاءها وأنها لم تفهم منها شيئا في الهاتف، قالت لها وهي في عجلة من أمرها أنها ستخبرها وهي تقود ولكن عليها أن تُسرع إلي منزل مصطفي، ارتبكت أمنية وشعرت بأن ما يحدث أكبر مما تتوقعه، أدارت المُحرك وبأقوى سرعة مُتاحة انطلقت وبدأت حلا تقص عليها ما حدث ببكاء

في منزل مصطفي كان الشباب الثلاثة جالسون في الشُرفة، صامتين، ينظر فارس في عين مصطفي تائهاً لا يعلم بما يجيبه علي سؤاله؟ هو يُريد من يجيبه عن نفس السؤال أيضاً، نظر للأرض مُنكس الرأس وقال له بيأس:

- ماعرفش حقيقي ومش عايز أعرف، بعد اللي سمعته منك أنا مش قادر أفكر، ومابطلش تفكير برضه...بس كل اللي عارفه أن لو ربنا ماظهرش حاجة تثبتلي أن اللي إحنا فيه ده مش حقيقي أنا عمري ما هندم علي أني سبتها، بل أنا مش هسيب حقك يضيع.

رن جرس الباب وأثناء تشاورهم في من منهم يفتح الباب، كانت والدتهم بادرت بفتحه، أتاهم صوتها تقول:

-أهلا، أتفضلوا يا بنات..إيه ده بتعيطي ليه كده يا حلا في إيه؟

شعر مصطفي بوخز مُتتالي في قلبه عندما علم بقدومها، أو ربما لبُكائها!

قُبض قلب فارس بحنين غاضب عندما علم بأنها ستكون أمامه في أي لحظة، وقف ثلاثتهم ينظرون لبعضهم بعضاً بصمت، سمع صوت أمنية

وهي تسأل عن مصطفي، فازداد غضبه الذي حماها منه لأيام، خرج لهم بوجهٍ عابس، عيناه مُحمرتان غضباً وتساءل:

- جاين هنا عايزين إيه؟ مش كفاية اللي صاحبتك عملته؟ أو اللي أنتوا عملتوه؟ ما أنتي أكيد مُشتركة معاها..

لمعت في عينيها دموع عاتبة، أخذت نفساً تحاول منع سقوطها وقالت بصوت يختنق بالبكاء:

- الموضوع مش زي ما أنتم فاهمين والله، دي لعبة حلا أول واحدة مأذية فيها...

ظهر مصطفي من خلف ظهر فارس، غاضباً كالبركان تثور منه كلمات تنصهر لها دموع حلا ويلتهب لها قلبها:

-مأذية؟ هو أنتي مفكرة أنكم لما تيجوا هنا وتعملوا الشويتين دول هصدقكم؟ أنا ما حدش أتأذي بسبب صاحبتك غيري.

وجه إلي حلا الحديث ويصرخ بها أمام الجميع:

- طول الوقت وأنا مخدوع فيكي، كدابة وخبيثة وقدرتي تلعبي بيا وتعشميني، وأنا اللي كنت غبي وعريت قدامك نقطة ضعفي لما قلتلك أن أكتر حاجة تكسرني هي أن عشمي يتخذل، أنتي قدرتي تخذليني وتكسري عشمي بكل اللي عملتيه، مش مكفيكي أنك هتقاضيني لا وكمان علقتيني بيكي وخلتيني أحبك عشان في الأخر أتفاجئ أن قلبك ملك واحد تاني وخلتيه هو اللي يهيني...قد إيه أنتي بجحة...وجاية بعد اللي عملتيه متشيكة

ومغيرة ستايلك فخورة باللي عملتيه؟حرام عليكي جاية تكسري فيا إيه تاني؟ وكمان بتعيطي!! دموع تماسيح صحيح...

كان الجميع في حالة حزن وصدمة، حلا تنهمر دموعها ويعلو صوت بكاءها، أمنية تسيل دموعها بصمت مُمسكة بيد حلا، ركضت خارج الشقة وبقيت أمنية من بين دموعها تقول:

-حلا مش مخطوبة، وحلا لسه متفاجئة باللي حصل معاك النهارده الصبح، من اللي كان خاطيبها...

محمد أقذر كائن في الدنيا، هو اللي خطط لكل ده وهو اللي عمله من غير ما حد فينا يعرف، حلا فعلاً حبتك يا مصطفي ومن كام يوم كلمتني وهي في الشغل وخلتني أقابلها في استاربكس؛ عشان مخنوقة وهناك قالتلي إن محمد بيطاردها وبيهددها من ساعة ما شاف بوست الصورة بتاعك، وأنها ما صدقت رجعت تحب وتفرح....

كانت بتقولي عايزة أصارحه إني كنت مخطوبة قبل كده بس خايفة يفهمها تلميح لحاجة، وساعتها انا اللي قلتلها لو كنت أنت صارحتها بأي مشاعر وقتها هي تصارحك...لكن ماكناش نعرف إن هتوصل بيه القذارة انه يعمل كده وبالسرعة دي!

عرف المنحة من كومنت كان في البوست وكلمهم وعمل اللي عمله، و النهارده برضه ضايق حلا في المكتب وقالها أنه عمل كده، هي طردته من المكتب وكلمتني وهي بتعيط وجينا علي هنا جري...

حلا غيرت استايلها عشان تحاول تفوق من بعد كلامك ليها والحالة اللي وصلت ليها من تعب وانعزال، أربع أيام بندور في ساقية مغمين عنينا

ومش فاهمين ليه بنتعامل كده وبنتألم كل يوم عن اللي قبله بسبب ذنب مش بتاعنا ومش عارفينه.....

عايز تتأكد من كلامي...سهل أوي تسأل أي حد وأنت تعرف إن حلا فاسخة خطوبتها من شهور وفي بينها وبين محمد خلافات، أنا همشي وبعد ما اخرج هكون عارفة إن زي ما أنت أتظلمت..فأنت ظلمت صاحبتي، وأنا أتظلمت معاكم...فرصة كانت فعلاً سعيدة.

قالت جملتها الأخيرة ورمقت فارس بنظرة عتاب أصابت قلبه بنزيف داخلي لا يراه ولكن يشعر به، دموعها يشعر أنها صادقة، كلماتها خرجت بحرقة قلب له كبرياء تمت أهانته للتو

وقفت الأم ومعها أسامة ينظران لفارس ومصطفي اللذان ظهرا علي ملامحهما الحيرة والحزن، تحول غضبهما لكثير من علامات الاستفهام، ينظران لبعضهما وكل منهما داخله نفس السؤال، أحقا هي علي حق؟

قال مصطفي بكبرياء:

-في داهية، عالم كدابة...مفكرينا هنصدقهم....يللا يللا نكمل قعدتنا.

خرج والده من غُرفته وهو يقول بحدة:

-استني أنت وهو، فهموني في إيه بالتفصيل حالاً.

جلس الجميع وبدأ مصطفي في سرد ما حدث وبعدما انتهي قال الأب:

-مش هعتب عليك أنك خبيت عليا طول الأيام دي بس هعتب علي أخوك العاقل اللي وصيته يعرف منك ويعرفني وما عرفنيش، عموماً اللي حصل

حصل ودي تجربة تعلمك، وأكيد ماكانتش خير ليك عشان كده ما كملتش..المهم دلوقتي أنا هسألكم سؤال وأنتوا الاتنين تجاوبوني بصراحة عشان علي حسب إجابتكم هتصرف...أنتوا حبتوهم فعلاً وكنتم ناويين علي استقرار قبل اللي حصل؟

نظرا لبعضهما البعض ومن ثم إليه وأجابوا بنعم، قال بعدما تنهد:

-طيب سبوني لوحدي دلوقتي أعمل تليفون وأعرف إن كان اللي أمنية قالته صح ولا لا.

دخل غُرفته وجلس الباقين ينتظرون بقلق، يتشاورون تارةً، ويصمتون تارةً أخري، بعد ساعتين خرج إليهم الأب ونظر لهم، قال:

- كنت مُتأكد أن دول كائنات نضيفة وما يعملوش كده...البنت ماغلطتش في ولا كلمة، بالفعل هي كانت مخطوبة وفسخت وجبت معلومات عن اللي كان خاطبها وباين عليه عيل مشيه بطال...شوفوا بقي هتصلحوا اللي عملتوه ده أزاي؟

أذاب الغضب والكراهية عن قلوبهم كالجليد فشعروا بالحنين فجأة، ونبض الحب داخلهم بقوة أكبر من ذي قبل

قال فارس:

-هنعمل إيه دلوقتي يا مصطفي؟

--مش عارف أفكر مش عارف، أنا ومش معايا تليفونها ولا أعرف بيتها وحتى لو معايا تليفونها مش هترد عليا بعد كل اللي قولته ليها.

فكرت الأم قليلاً ثم تذكرت شيئاً، سألت بسرعة:

-أنت مش معاك رقم أمنية يا فارس؟

أجاب بسرعة وأخرج هاتفه من جيب البنطال:

- أيوه فعلاً أزاي فاتتني دي، أنا هتصل بيها.

قال أسامة:

-يا بني مش هترد عليك.

.

-- ماقدمناش حل تاني يا أسامة، هنحاول ولو ما عرفناش نوصل لحاجة أنا عارف شغل أمنية فين ممكن نروح بكرة.

قال مصطفي:

-طيب جرب.

الهاتف يرن والقلوب تسقط أرضاً مع كل رنة تكتمل دون إجابة، قال مصطفي:

-خليك وراها يا فارس.

--ما بتردش، هي الساعة كام في أيدك؟

نظر الوالد في ساعة يده وقال:

-الساعة دلوقتي 4 العصر

-- طيب وهما كانوا هنا من حوالي ساعتين ونص يعني ممكن يكونوا روحوا بيتهم، ممكن نروح الحي اللي ساكنين فيه ونسأل هناك.

قال أسامة:

-لا يا عم دي لفة علي الفاضي، خليك وراها بس وأفضل رن والصبح نروح الشغل عند أمنية

صرخ:

-ردت ردت، ألو يا أمنية...طيب أهدي بس عشان أفهم منك، حاضر، أنا أسف....يا بنتي أهدي بس وفهميني....مالها حلا....نعم؟؟ طيب وما كلمتنيش ليه؟ طيب أنتي فين؟....طيب خليكي عندك أنا جايلك...سلام.

دارت الدنيا به كاد يسقط أرضاً من الخوف عندما سمع اسمها وشعر أن هناك شيئاً ليس جيداً، سأل فارس فور إغلاقه للخط:

-في إيه يا فارس؟

نظر له لا يعلم ماذا يُخبره، ازدادت الأمور تعقيداً، واتسعت دائرة القلق، قال بقلق حقيقي:

-أمنية بتقول إنها نزلت لقت حلا واخدة عربيتها، و من ساعة ما نزلت من عندنا بتدور علي حلا ومش لاقياها في أي مكان حتى البيت، وبترن عليها

قافلة تليفونها، وهي دلوقتي واقفة عند الشركة اللي شغالة فيها حلا وقلتلها تستناني هناك.

صياح مصطفي المُفاجئ أفزعهم:

-أنا السبب، أنا غبي، غبيييي

--مش وقته يا مصطفي دلوقتي، إحنا ننزل حالاً نروح لأمنية ونعرف منها الأماكن اللي ممكن حلا تروح ليها، ونقسم نفسنا وندور عليها.

=أيوا يا مصطفي أسامة صح، يللا بينا..

خرج ثلاثتهم، صعد فارس ومصطفي سيارة مصطفي، ولحقهم أسامة بسيارته، في الطريق كان لوم مصطفي لنفسه بصوتٍ عالي يُربكه أثناء القيادة، أخاف ذلك فارس فصرخ فيه أن يهدأ، يجب عليهما الهدوء ليستطيعا التصرف بحكمة هذه المرة، أقتنع مصطفي لكن عقله مُتمرداً يلومه حتى وإن لم يتحدث إلي نفسه عما يدور بداخله، وصلا لأمنية، ترجل ثلاثتهم من السيارات ووقفا أمامها، سأل فارس:

- عملتي إيه؟

تنظر إلي مصطفي بغضب، وببكاء تقول:

-سألت في الشركة ودورت عليها في البيت ومافيش فايدة مش لقياها.

سأل مصطفي:

-طيب هي ممكن تروح فين وقت ما تكون متضايقة بالشكل ده؟

-هي كتير لما بتتخنق كده بتروح لحاجة من التلاتة...بحر، أو كافيه وغالباً استاربكس، أو أنها تروح تشتكي لوالدها والدتها في المقابر..

قال أسامة وهو ينظر في ساعة الهاتف:

- طيب الوقت بيجري وبدأ الليل يليل ولازم نلحق نوصلها عشان لو هي في المقابر هتكون لوحدها كده...قوليلي فين استاربكس وأنا أروح، ولو مالقتهاش هناك هكلمكم تعرفوني مكان المقابر، وانتم فكروا أنهي بحر هي ممكن تروحه ودوروا هناك.

وافقا علي رأيه، أخبرته بالمكان وأسرع في ركوب سيارته، أدار المُحرك واختفي من أمامهم، نظر مصطفي لأمنية التي لا ترغب في النظر لوجهه وقال بأسف وندم:

-سامحيني يا أمنية، أنا عارف أن مافيش أي اعتذار يغفر لي طريقتي وكلامي، بس أنتي أكيد هتتفهمي إحساسي وموقفي وهتعرفي أنهم مش ساهلين..

--كان ممكن ببساطة تسأل أو تتناقش، تسيب مجال واحد علي الأقل أنك تعرف الحقيقة فين قبل ما تاخد أي إجراء...عموماً كل شيء منتهي، أنا مش محتاجة أي اعتذار، كل اللي محتاجاه إن صاحبتي ترجع

صعد ثلاثتهم السيارة، اقترحت أمنية أكثر من شاطئ، كان مصطفي بالمقعد الخلفي للطريق إلي الساحل، ينظر من الشباك شارداً، غروب الشمس ذكره بصباح يوم كانت تُشرق فيه الشمس في أجواء كئيبة مثل هذه، لكن هذه المرة لن يُعطيه فارس الكاميرة؛ فهذه ليست رحلة للبحث عن راحة بال، هذه رحلة بحث عن مفقود فُتر قلبه، نبتت في عقله فكرة

جديدة..نفس الفكرة ولكن بشكلٍ مُختلف، لعلها تكون عاملاً مُساعداً..أمسك هاتفه وقلب في الصور ووجد الذي يبحث عنه، الصورة التي التقطها لها في المطعم أمام حائط الورد، فتح فيس بوك وقام بتحميل الصورة وكتب فوقها

"أزيكم، أكيد من الصورة دي هتفتكروني...آه هي اللي كنت بدور عليها معاكم، حلا...من أسابيع كنت بقول ليكم تدوروا معايا عليها لأنها شخصية مجهولة وجودها وصلني لأولي خطوات تحقيق حلمي، وساعدتوني أوصلها بالشير بتاعكم..والدليل من وصولي ليها الصورة دي، جميلة الصورة أنا عارف، بس اللي عارفه أكتر أن صاحبة الصورة أجمل إنسانة في الدنيا في روحها وقلبها وشخصيتها، كل تفصيلة فيها علي الحقيقة عرفتني أن جمال الصورة مش عشان أنا مُحترف..عشان هي ليها..

اكتشفت بوجود حلا أن حلمي الجديد بقي هي، بقيت عايز أنجح في امتلاك قلبها هي مش امتلاك شهرة كمصور مُحترف، أنا من غير صورها مش ببقي مُحترف، وجودها هو اللي بيكمل الحلم وبيكمل الصورة، الطلب المرة دي قوي ومقسوم لأتنين.

بطلب منكم اللي يشوف حلا في أي مكان يكلمني علي الرقم ده () حلا مُختفية من الظهر ومش عارفين راحت فين وحصل ليها إيه، بس خدوا بالكم أن المرة دي شكلها مختلف عن الصورتين شوية، الشعر بقي قصير كيرلي...الجزء التاني من الطلب، تقولوا لحلا تسامحني، وتقبل تتجوزني...

أنا أسف يا حلا، وأرجوكي لو شايفة الكلام ده ترجعي، ماتسامحنيش بس أرجعي ولو مش عشاني، عشان أمنية وشارو اللي هيتجننوا عليكي...لأول مرة هقولها وقدام الكل..بحبك يا حلا)

أخبرهم بعد انتهائه من نشر المنشور وقرأه لهم، أعجبتهم الفكرة وزاد الأمل، بعد قليل من الوقت رن هاتف أمنية، أجابت بلهفة وهم يُتابعانها بقلق:

-إيه! أزاي؟....طيب فين بالتحديد؟...خلاص يافندم مسافة السكة وجاية.

أغلقت الخط وصاحت:

-حد من القسم بيكلمني وبيقول أنهم لقوا عربيتي مخبوطة في حيط والباب مفتوح، فيها شنطة بنت من بياناتها أسمها حلا، بس البنت مش موجودة في العربية وعايزني أروح أستلم العربية.

كأن الزمن توقف عند هذه الجملة، كل شيء صمت داخله إلا شيئان، قلبه الذي يرتجف بين أضلعه، وشعور الذنب الذي عينه مسئولاً عما يحدث الآن، تحرك فارس بالسيارة وأمنية بجواره تبكي وتدعوا الله بأن لا تكن أُصُيبت صديقتها بمكروه، ومن حينٍ لأخر تنظر لمصطفي الصامت بالخلف وتلومه، مرارة البكاء المُختنق في حلقه، غير قادر علي التفوه، غير قادر علي البكاء؛ كي لا يؤكد الشعور لنفسه بأن صار لها مكروه..

في القسم أخبرتهم أمنية باختفاء صديقتها وأنهم كانوا ذاهبون للبحث عنها، تولت الشُرطة رحلة البحث عنها، بعدما أتاهم اتصال من أسامة بأنه لم يجدها في المقهى ولا المقابر، أخبراه ما حدث وظلوا مع الشرطة يبحثون، لم يطول البحث فقد أتي لمصطفي اتصالاً...

-أستاذ مصطفي إيهاب؟

--ايوه يا فندم، مين؟

-أنا بكلم حضرتك بخصوص البنت اللي في الصورة اللي اسمها حلا، حلا عندنا في المستشفي... جت المستشفي بتنزف جابها واحد ومراته وقالوا إنها كانت ماشية علي الطريق لوحدها بتنزف، ومش عارفة هي كانت رايحة فين ولا إيه اللي حصل، هي فاكرة أسمها بس مش قادرة تتذكر أي تفاصيل من أثر الخبطة...كنا هنبلغ الشرطة لحد ما حد من المستشفي شاف البوست بتاع حضرتك وبلغنا بالرقم، فحضرتك لازم تجيب حد من أهلها وتيجوا..

********** •

"أمنية"

كانوا يومين من أقسي اختبارات الحياة، أنا أخطوا لداخل المستشفي بخطوات مُترددة، هل ستتذكرني؟ هل ستمحوا كل جميل عشناه سوياً؟ لم أكن أعلم أن العقل ضعيف لتلك الدرجة، أدركت أخيراً لماذا يُجبرك بسيطرته علي الصواب، لأنه يعلم أن اختيارك لما تقودك إليه مشاعرك سيهلكه بكم ما تقع فيه من الآم نفسية وضغوط، لن يتحمل فسيضطر لمحو ذكرياتك التي يعجز عن تحملها... لكن هل سيكون مؤقتاً؟ أم أنك ستُعيد كتابة حكايتك من جديد؟؟

عندما رأيتها مُضمدة الرأس، ممددة إلي السرير الحديدي، ملابسها مُلطخة بالدماء، سقطت دموعي بصمت، كان داخلي يتزلزل من الخوف عليها، لكن هدوئي الخارجي ما إلا انتظار لردة فعلها عندما تراني، أظن أنني من سيتوقف قلبه عندما لا تتذكرني.

فتحت جفونها عندما شعُرت بنا في الغُرفة، صرخت باسمي تبكي، ركضت إليها أضمها إلي وأبكي كما لم أبكي من قبل، ساد الحزن عندما أخافها وجود أشخاص غُرباء بالغُرفة لا تعلم أن واحداً منهم يسكن قلبها، بكي مصطفي كالطفل، توسل لها أن تسامحه، خوفها يزداد منه فهي لا تتذكره، أصابه ذلك بحالة هلع، حاول الأطباء منعه مما يفعله فهذا يمكن أن

يجعل فقدان الذاكرة دائم وليس مؤقت، كان من الصعب تهدئة الوضع، فأمر الطبيب يومها بإخلائهم الغُرفة، أيام تمر وأحاول معها لتتذكر أي شئ... تحدثنا إليها أنا والطبيب عن أخر ما تتذكره فبدأت في الحديث بهدوء عن يوم ميلادها الرابع والعشرون...يوم رحلة الساحل..

وهنا، كان الحل الوحيد لهذا الأمر أن علي كل منا أن يقُص تفاصيل اليوم من تجاهه، ضم إلينا الطبيب فارس ومصطفي، جميعنا نحكي ومن الحين للأخر تتذكر شيئاً وتحكيه، عاد الأمل، وزاد الحماس، نحكي بالترتيب التفاصيل بالأيام والساعات والمشاعر؛ فتبتهج لتذكرها كيف كانت تشعر حينها...

تذكرت كيف كانت تبكي في طريق لا تعلم أين تذهب فيه، وكيف منعتها دموعها من رؤية الطريق بوضوح فاصطدمت بحائط وفقدت وعيها أثر الخبطة وعندما أفاقت لم تكن تتذكر أي شيء، والطريق خالي من البشر، وأنها خرجت من السيارة تبحث عن أحداً ليُسعفها، وعندما وجدها رجل يقود سيارته ومعه زوجته أخذاها للمستشفي

بكت حلا بقوة وننظر لها جميعاً بأعين دامعة:

-- ليه عملتوا كده؟ ليه خلتوني أحس نفس الإحساس ده تاني؟ ليه ما سيبتونيش فاضية من جوه؟ أنا مش عايزة أتوجع تاني، أنا مش عايزة أفتكر ليه خلتوني أفتكر كل حاجة وأشوفها بدل المرة اتنين ...

قال مصطفي:

-عشان إحنا بنحبك يا حلا، عشان كان لازم تفتكري لان كل وجع أتخلق عشان نحس بيه ونتخطي أننا نعدي عليه مرة تانية، مش عشان ننساه..لو

كل مرة فقدنا الذاكرة في موقف وجعنا يبقي أحنا حياتنا مالهاش لازمة..لازم كل وجع حسينا بيه نتعلم منه ونفرح بيه مش نزعل...

قال فارس:

-كل حاجة بتحصل يا حلا ليها حكمة والحكمة دي هي اللي هتخلي حياتك أفضل..

--بس أنا حياتي كلها سيئة أنا كرهتها وكرهت تفاصيلها..حتى أخر حاجة حلوة حصلت في حياتي أني حبيت شخص قدر يحسسني بالأمان، ويحسسني بقيمتي بجد هو أول واحد صدق أني أذيته وباعني من أول لحظة وأهاني قدام أهله وصاحبتي..

قلت لها وأنا أضمها لصدري:

-مصطفي بيحبك يا حلا وكان صعب عليه يتحمل الصدمة من اللي حصل، أي حد مننا كان سهل يقع في الفخ اللي مصطفي وقع فيه، هو كمان أتأذي جامد، المفروض نشفع له وإحنا اللي نتأسف له أن اللي حصله بسببنا

نظرت حلا إلي مصطفي بوهن وقالت بعند:

-أنا مش هسامح حد، الموضوع مقفول بالنسبة لي، خلاص كفاية لحد كده..

قلت لها:

-بلاش عند يا حلا، أنا عارفة وأنتي عارفة أنك بتحبي مصطفي زي ما هو بيحبك..

قال فارس بابتسامة:

-وأنتي يا أمنية، مش هتعاندي زيها؟

ابتسمت بخجل ونظرت له بحنين، ثم قلت لحلا:

-لو أنا عاندت من الأول وما كنتش قبلت أروح العزومة، ماكنتش هشوف فارس وأحبه، ولو كنت عاندت وماردتش عليه وأنا بدور عليكي، ماكنتش هعرف الاقيكي بسرعة، ولو كنت عاندت ومشيت معاكي لما خرجتي من بيتهم ماكنوش هيعرفوا الحقيقة والأمور ترجع أقوي...العند يا حلا ما كنش هيبينلي أن الشخص اللي حبيته ده بجد راجل أقدر أعتمد عليه وألجأ له وقت ضعفي وقلة حيلتي.

أبتسم فارس، أعلم أن كلماتي لامست قلبه وجدته يقول:

-وأنا لو كنت عاندت أني أحضر العزومة ماكنتش لقيت سبب سعادتي اللي بدور عليه، ماكنتش هقدر ألاقي الشخصية الوحيدة اللي حبيتها، ولو كنت عاندت وسبت غضبي هو اللي يتحكم فيا وكلمت أمنية زعقت فيها خلال الأيام اللي فاتت كان كل شيء حلو بينا هيبوظ بسببي، ولو كنت عاندت مع مصطفي وماسمعناش لكلام بابا ماكنتش هقدر أوصل للحقيقة وأصدق قلبي اللي كان مصدق أمنية، زي ما مش مصدق دلوقتي أنها قالت أنها بتحبني.

ابتسمت حلا بإجهاد، فعاد بإمكان قلبي أن يشعر بالراحة قليلا، نظر لها مصطفي وقال:

-وأنا يا حلا...لو كنت عاندت وموافقتش أني أروح الساحل يوم عيد ميلادك كان زماني شخص بائس حزين، مش عارف معني للحلم اللي بجد، ولا حس بالحب اللي بجد، لو كنت عاندت جنون فكرتي في الأول ماكنتش نزلت الصورة علي الفيس ولقيتك، ولو كنت عاندت أكتر من كدة بسبب غضبي ماكنتش هتأكد قد إيه أنا بجد بحبك ومش عايز من الدنيا غيرك..

-- وحلمك!

-حلمي موجود بيكي يا حلا، حلمي بأني أكون بصور بشكل خرافي ده كان عشان أنتي معايا، هنحققه سوا يا حلا...

- **********

"حلا"

لن أكذب، فلو أنني عاندت أيضاً ولم أوافق أمنية علي الذهاب للشاطئ، لما كان كل هذا يحدث، كان عنادي سيمنع أن يُحقق لكل منهم مُراده، فكان أمنية وفارس لن يتقابلان وتتذوق قلوبهم طعم الحب لأول مرة، ولا أن أحب من جديد ذلك الرجل الذي خلد صورتي في ذاكرة الناس بشكلٍ أسطوري..

لو أنني عاندت ولم أسامحه هذه المرة لما كنت اليوم أقف بجانبه بفستان خطوبتنا الأزرق، أنظر له بابتسامة فخر، أتأمل ابتسامته، ولحيته، ولمعة عيناه عندما ينظر لي، يقف لاستقبالنا فارس ببذلته الرمادية، يميل إلي أذن أمنية التي تبتسم خجلاً لما يقوله لها، وتحيط ذراعه بقبضتها الناعمة يلمع

في أحد أصابعها دبلة ذهبية بفستانها الأحمر البسيط، نخطوا إلي القاعة التي أقيمت فيها خطبة فارس وأمنية منذ أيام، نخطوا بأمان لحياة جديدة، تعاهدنا فيها ألا نُعاند فإن كل أمر يحتاج لإعادة تفكير..

تمت بحمد الله